المشرق

الحماسة الدستورية

نظر الناقد الاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ اجود الشعر ما اختمرت به مشاعر قائله. لانَّ الكلام اذا ما تأثرت منهُ النفس وانطبع في اعماق القلب تكاد الطبيعة تقذف به عفواً دون تصنُّع ولا تمثل البتَّة. وان سبكتهُ وعرضتهُ على محكّ الانتقاد وجدتهُ مصوغاً بابلغ المعاني مفرغاً في اجود قالب من اللفظ والتعبير

على انهُ بين ضروب المنظومات ليس ما يفضلُ في ذلك الشعر الحماسي لانهُ يعبّر عن اشرف ما في قلب الانسان من العواطف ويترجم عمَّا يكنهُ صدرهُ من الخواطر السنيَّة والهمم السامية التي تنكبهُ عن الدنايا وتسمو بهِ الى المعالي فيذكر ما لاسلافهِ من المفاخر ويتوق الى مماثلتهم بالمآثر ويناصب كل ما يحول دونهُ من العوائق في ادراك غايتهِ الجليلة حتى انهُ يضحي في سبيلها كل نفس ونفيس

وان تصفَّحتَ تواريخ الامم الغابرة ووقفت على آدابهم وجدتهم في الحماسيَّات اشعر منهم في سواها من فنون الشعر وهم يقدّمون تلك المنظومات الحماسيَّة على غيرها ويكرّرونها في مفاوضاتهم ويتغنَّون بها في اناشيدهم ويلقّنونها صغارهم حتى تصبح كقسم من حياتهم الاجتماعيَّة وعمرانهم. فهذه الالياذة لهوميروس بين اليونان ونشيد إنياذه لورجيليوس بين الرومان وشاهنامه للفردوسي بين الفرس فانها كلها منظومات حماسيَّة تذكّر كل قوم بمفاخرهِ وتبعث في قلوب ذويهِ شواعر الحميَّة والتحمُّس

ولم يخرج العرب عن هذا الحكم وان كانت منظوماتهم الحماسيَّة قصيرةً لا

تتجاوز ابيات القصائد . وقد عُني بعض الائمة بتأليف تلك الآثار او نُخب منها اودعوها في مجاميع عُرفت بالحماسات كحماسة تمّام التي استفاضت شهرتها وحماسة البحتري التي نحن اليوم ساعون بنشرها وحماسة البصريين وحماسة الخالديين وغير ذلك مما يشهد للعرب القدماء بالنخوة والاباء

ولمّا أُعلن في اواسط الصيف المنصرم بالحكومة الدستورية وفُكّت الاغلال التي كانت تنوء تحتها نفوس العثمانيين باستبداد السلطة الحاكمة سابقًا نشطت الارواح وانطلقت الالسن وجادت قرائح الشعراء بفرحها الطبيعية وقد نُظم من ذلك الوقت الى الآن من القصائد ما لو جُمع لأربى على كل المجاميع الحماسيّة السابقة . ولما كان لهذه الاقوال شأن عظيم في تاريخ الآداب العصرية رأينا ان نُعمل فيها النظر احيانًا ونستوقف ابصار الادباء لئلا يندثر ذكرها وتطمس معالمها

وكان اوّل ما شعر به العثمانيون يوم الاعلان بالدستور الجذل والاستبشار فسرّي عنهم همّهم وثلج بالبشرى صدرهم واستهل قلم الشعراء بوصف فرحهم . فقال الشاعر الوطنيّ جناب الامير شكيب ارسلان في مطلع قصيدة غرّاء :

ألا يا بني عثمانَ حبكمُ بُشرى لقد جاد ربُّ العرش بالنعمة الكبرى
وقد فزتمُ ذا اليوم بالغاية التي عليها رجالٌ قد قضوا دونكم قهرا
اطالت عليكم بغتةً شُرّد المُنى تُحقّق بعث الله مع عسرهِ اليُسرى
انت وحجابُ اليأس قد حال دونها كما يشتر الديّانُ من سكن القبرا
فمن غير وعدٍ بذّل انهُ حاكم لتضحي لكم رحمى وتندو لكم ذكرى
ويُعلَمَ انّ الله لا ربَّ غيرهُ وليس سواهُ يملك النفع والضرّا
اراد تلافي الشرق من عثراتهِ فأنقذ عليهِ من عنايتهِ سِترا

وانشد اخوه الاديب احمد عادل ارسلان معارضًا حالة البلاد بالبعث والنشور :

هذه الحياةُ فابن العُدمُ والعَدمُ وذا الضياء فابن الظُلم والظُلَمُ
لقد جلاها عن الاسلام ذو شُطَب ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ
يا بنيةً لم تزل في العسر نطلبها لا اليأسُ يُقعدنا عنها ولا السأمُ
قد بشّرتنا بها الانباء ناثلةً أمرَ الخليفة نِعم الآمرُ الحَكَمُ
احيا بها امّةً كادت عزائمها الى حضيضٍ من الإخلاد تنهدمُ

واجاد في وصف تقلّب الاحوال جناب الاديب يوسف حيدر :

مضى عصرٌ وذا عصرٌ جديدُ به صرنا نقيدُ ونستفيدُ

وقد ولى زمانُ البؤس عنّا واقبل نحونا زمن سعيدُ
بدأنا واغتطنا ثم عُدنا تبارك ربنا المبدي المعيدُ
كذاك الله يفعل في البرايا فيخفض ثم يرفع من يُريدُ
لحقًّا ان ذا عصرٌ حميدٌ وحقًّا انَّ هذا اليوم عيدُ

وكما تباشروا بالنجاة وهنّأ بعضهم بعضاً بنيل الاماني كذلك صرفوا نظرهم الى الجيش العثماني وضبّاطهِ البسلاء الذين بفضلهم حصل هذا الانقلاب العظيم فشكروهم واطرأوا حزمهم ودعوا لهم بالفوز والنصر . فقال جناب الشاعر المطبوع محيي الدين افندي الخياط :

بني الشرق هل إلّا الجدادُ التواضعُ سموكم وهل الّا الجهادُ الشوازبُ
بنيتم وأعليتم وشيّدتم فسُدتم ألا هكذا تُبنى العلى والمراتبُ
تلوا سحف الأنباء هل غير ما روت عن الجيش اروى الشرقَ والشرقَ ناشبُ
سرت نبأة من جانب الجيش قد دوت شمارتُها اعترّت لها والمعاربُ
مضت حقبةٌ يا شرقُ والقومُ تُرتعُ الى المآرب الغربي والكلُّ راقبُ
فرُحماك يا شرقُ لا تذلُ وأنتَ فقد فُزت بالدستور والدهر شاغبُ
ووالله ما ندري أأحلامُ نائمٍ أأنت بنا ام انت يا دهرُ لاعبُ

وقال الكاتب الاديب نجيب افندي مصوّر يحيّي الجنود البسلاء :

حياكمُ المولى واسعد دولةً وحمى هلالاً في سماها يسطعُ
يا قادة الافكار والارواح في قلم يدٌ وفي حسام يقطعُ
علّمتمونا كيف نحيا امّةً كادت تموت وصوتها لا يسمعُ
علّمتمونا الاتحاد ولم نكن نرضى به بل في سواه نطمعُ
وأريتمونا انَّ فيكمُ مجدنا والى حماكم في الشدائد نفزعُ
يا جُند عثمانَ السلامُ عليكمُ تلقد دوت بكمُ الجهاتُ الاربعُ

وقال الشاعر المجيد شبلي بك ملّاط يطنب في مديحهم ويخصُّ منهم زعماءهم وانصار تركيا الفتاة من ابيات :

وشت جنودُ الترك فاهتزّت لها الدنيا وضجّ المسلمون وكبّروا
وتعاهدوا ان ينقذوا الوطن الذي بالجور منهُ الجوُّ اشمسُ اغبرُ
فتقدّموا والله ناصرهم وقد فازوا وكان النارُ ان يتأخّروا
فلتحيَ تركيا الفتاةُ وردّدوا عاش ابنُ تركيا وعاش العسكرُ

حملتْ الى الترك الحياةَ وأنتم لولا الثباتُ وقومُها لم ينشروا
خرجوا من الاكفان وانتفضوا كما يتنفّضُ العبدُ الذي يتحرّرُ

وقال جناب الشاعر المفلق عبد الله افندي البستاني في الموضوع:

يا رعى اللهُ مجدَ كلّ همامٍ شاد بالسيف المجد للعسكريّهْ
هل يوازي الآسادَ غيرُ بازي مَن حمى حوزة العُلى بالحميّهْ
لا يباريهِ في الصراسة الّا صادقُ البأس أثورُ الاليّهْ
بنيا الاحرار في كلّ قطرٍ شرقًا لا يزولُ بالمترفيّهْ
حاربا الفرقَ في الوغى وبرًا مثلَ سهمَين انفذا في الرميّهْ
لم يُثنيا على المقاصد لكن ربطا الخائفَ القلوب الحريّهْ
واستباحا مستأسِدَين بيثًا كالدواهي بالغيرة العلويّهْ
فاستجار الحمودُ طرًا وذلّوا حرَّ ثغورَ عاتي الحريّهْ . . .
اي عبدٍ يُبلي بوجهٍ كعبدٍ كاد يُفني مابيعَ عا فصيّهْ
أيّها الناهضون للحقّ بثّوا بثّي المُرهفاتِ شكرَ العريّهْ
لا ترالون بالصوارم سورًا يدفعُ الهولَ عن بني سوريّهْ

واكثر الشعراء في قصائدهم يعودون بالنظر الى الاحوال السابقة ويعدّدون ما أمّ بالاوطان من النكبات وما دهم اهاليها من الشدائد لاستبداد المُتال وترفّع ذوي الامر فيعارضون بتلك الاحوال السقيمة ما اصابهُ اليوم بتغيّر الامور عاقدين الرجاء بانتظام الاحكام. فمَن احسن في هذا الباب جناب الدكتور نقولا فيّاض حيث قال:

يا بني عثمانَ انم انشتْ اصبحت موضوع اعجاب الامَمْ
سيدُ الدنيا تاريخًا لكم طبّع المجدَ به منذُ القِدَمْ
في حمى جيشٍ عزيزٍ باسلٍ وامام السنّة كالنجم العلَمْ
ضرب الظلمَ بسيفٍ قاطعٍ شقّ منهُ النورُ اكبادَ الظلَمْ

*

صيحَ بالترك فكانت صيحةً أيقظت من ضجعة الموتِ الهممْ
وسرى للعرش منها هزّةٌ نفضتْ يلدزَ من ذاك الصنَمْ
فترا الشرق انقلابٌ مدهشٌ لو غنّيناهُ في الاحلام لم . . .
ورأينا دولة الماضي وقد كتب الموتُ عليها لا رحم

وقال الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله:

يا ايها الناس حيّوا ذلك العلما وسبّحوا مانح الحرّية الأسما
وقبّلوا البندقيّات التي فضلت افلامنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عصبة الاحرار انهم اتوا بما اعجز الابطال والهمما
هيا افتحوا يا بني عثمان اعينكم تدفّق النورُ حتّى يبدّد الظلما
تزيّنوا بجديد من ثيابكمُ او فاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما . .
وادعوا لمن بعث الدستور من جدث بكت عليهِ عيون العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ عليهِ حتّى حسبناهُ غدا عدما
واليوم جرّد سيف الحقّ صاحبهُ وهاجم الظلمَ حتّى فرّ منهزما
تعانق الشيخُ والقسيسُ وابتهجا من بعد ما افترقا ضدّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتّحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما . . .

وبمثلها اجاد الاديب طانيوس افندي عبده في مخمسه حيث قال .

ذلك اليوم يوم لم نرَ قبلا وسمعنا بمثلهِ استكبارا
يوم بات السلام فينا نهارا يوم كنّا نرى الجمع كثرى
لا بخمر بل من حميا الحميّه
قد رأينا الاتراك اهل الحماسه أدهشوا الارض بالدما والبساسه
واستطالوا الى مقام الرئاسه فقضوا بالربا اطالوا القاسه
دون ان يسفكوا دماء زكيّه
ورأينا بيروت ترقص تيها وبها يعمرون فيها
بعد ان كانت النجاة فيها لملذّي اصبحت كأنّ ذوجا
اخوة بالسلام والمدنيّه
ورأينا القلوب قبل الايادي تركت للسلام والاتحاد
فغدا الآن كلّ حرّ ينادي يا لقومي نفسي فداء بلادي
فلتكن واحدا جموع الرعيّه
يا بني قومنا اذا ما ظفرتم فبذاك الجيش المظفّر فزتم
وبفضل الاحرار ها قد سلمتم فاذكروا الفضل واعجبوا ما حييتم
بجلال الحميّة التركيّه

ومن الشعراء من ذكر اعمال الاستبداد التي تركت في النفوس اسوأ عاقبة فرثى بعضهم الاحرارَ الذين ذهبوا ضحيّة مروّتهم وظلم الحكّام فقدوا بدمائهم ارواح اخلاقهم . قال صاحب العزّة سعيد بك شقير :

احرارُ تركيّة انهضتمُ وطنًا كم سبابٌ شأوًا دونهُ السحبُ

فكم صبرتم على ضيم ألمَّ بكم وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموتُ يحصدكم فما رجعتم وما خارت لكم ركبُ
ما مات من بطلٍ الّا انبرى بطلٌ للعيش مفتقرٌ في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البوسفور أعظمكم منها بقايا عليها المجدُ مكتئبُ
علّمتم الشرق والاقطار قاطبةً انَّ العظيم لديه تصغرُ النُّوَبُ
ولا تنالُ المنى والمرءُ مُقتعدٌ في بيته حزعًا انَّ المنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطنًا فكلُّ ما فينا فيه بعض ما وهبوا
ولم تَمُتْ روحهم بل دبَّ ثائرُها في من أتى بعدهم كالنار تلتهبُ

وكذا استدرّ العبرات على ضريح المرتى في سبيل الدستور جناب اسعد افندي ماجم:

اذكروهم في كلّ سمعٍ وبادٍ انهم حرّروا رقابَ العبادِ
بعد ما عاندوا واي عنادٍ اذهكروا كلّ حادم للبلادِ
من ثرى غارٍ الى البستان
وقفي فوقهم ايا روح مدّتْ انتِ مَنْ في هذا السبيل تضحّتْ
عن عناها لولا الرّدى ما تنحّتْ تلك اعمالُها وها اليومَ صحّتْ
بعد عشرين حجّةً وثماني
يا شهيدًا لم يبغِ غير الوفاء وطبيبًا ارداهُ وصفُ الدواء
لمريضٍ ما رام بل الشفاء حولك الآن عسكرُ الشهداء
ولارواحكم تليقُ التهاني
واذكروا ذلك الامير النظيما اي صاح الدين الشريفَ الحكيما
امهُ غادر التنى والنعيما حيثما كان سيّدًا محدوما
وتلاشى في خدمة الاوطان

ومنهم من عدّد مساوئ الجواسيس وقبّح اعمالهم الاثيمة. قال جناب عبد الله افندي البستاني:

بؤسًا لايامٍ علينا سوّدت دُهمَ الليالي والنفوسُ جوارِ
ايامَ ابناء المهانة عُزّزوا وبنو المهانة خيّموا بصغارِ
فغدا البيونُ على الضمائر غرّةً غدوَ الجوادِ بجبهةِ المضمارِ
واستأنسوا في ظلّ اذيال الدجى فاستوحشوا بطالع الاقمارِ
واستمرأوا لذّاتهم بأذاتهم وتنعّموا بتمرّم الاعمارِ
يتجسّسون من الخفايا طرفةً كانت لأنفاس النسيم تباري

ولكم تواروا ان يمسّوا بالأذى كلَّ امرئٍ بشهاهُ زَنْدٌ وارِ
يتجرّمون على البرئ جنايةً مع انّهُ مما جنوهُ عارِ
فكأنَّ من اخلاقهم صلد الصفا ونفوسهم فُطرت من الديثارِ

وغيرهم رشقوا بألسنة حداد جنايات المرتشين من العُمّال . فمن ذلك قول الشاعر الفكه اسعد افندي رستم يصف دخولهُ بيروت بعد عودته من اميركة :

ودخلتُ بيروت الحبيبةَ تائقاً للأهل بعد تشوّقٍ وتحسّر
فأتى اليَّ مفتّشاً مأمورها قال افتح الصندوقَ قلتُ لهُ اصبر
فمددتهُ ووضعتُ في يدهِ خمسديناً فقال الشكرُ يا «حضرتلي»
لفّتْ حصاتُ عليهِ جوّاً وكم لفّتْ ما أعطي سذل الاصفر
هذه البلاد فتيرةٌ فأعدّ ما فيها الهوا والماء والحسن النظري
ارضٌ على فقرائها ساد لبز لا يستريحُ ما يرى الرجل الثري
ما دامت الحكّامُ فيها ترتشي يتحوّط الخاطي ولا يتحوّط البري
لا شمل للساعي الجدّ هنا ولا ربحٌ هناك للبائع او مشتري
الجيشُ عربانٌ وحاجب حوزهُ خالٍ ومن سنتين لم يقبض «كري»
وطنٌ تمرّسَ اهلهُ وسيبندي بعد القليل وليس فيهِ «دوري»
لا بدع ان سمّوه سقط رأسنا فرؤوسنا سقطت به بتقهقر
لكنَّ هذي الحال زالت وانجت وتبدّلت حالاً واني تحسّبي

وتفكّه آخرون بمراقبي الجمارك والمطبوعات . فقال شيخ الشعراء الصريبي شرقي بك :

لما رقيبٌ كان ما أنقلهُ الحمدُ لله الذي رحّلهُ
لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقاً مات بهِ لا بالهوى والولهْ
لو دام الضعف ودامت لهُ لم تنجُ منهُ الصحُفُ المنزلهْ
اذا رأى الباطلَ غالى بهِ وان بدا الحقُّ لهُ أبطلهْ
لو خال «باسم الله» في مصحفٍ تُنضب «تحيّاً» عما البسلهْ
وعزّة الله بلا «عزّتي» لا تنفعُ القاري ولا خردلهْ
جرائدُ الترك على عهدها كانت بلا شأنٍ ولا منزلهْ
ان تذكر الخنجر لفظاً تُصِبْ من شدّة الذعر بهِ مقتلهْ
وان تصفْ قنبلةً لم تَنَمْ من هول ذكرى حادثِ القنبلهْ

ومثلهُ في حسنهِ قول جناب عبد الله افندي البستاني في حرّية اليراع :

سرّ الضمير ببادئ الافكار فأنالها ما جلّ من اسرار
قد كنتُ ذا وله زمانَ تلثتُها وردتْ حياضَ حمامها بديار
يا طالما شاء اليراعُ بكاءها فارتاع حابي دمعهِ المدرار
ولأشدّ ما استوقدتُ صدري بعدها بأبي يذيبُ جوامدَ الاحجار
كم عذتُ بالباري فيخالوا انّني كفٌّ بمن هو اليراعة بارِ
لم اذكر الشعرى فخافة انّني في الناس اعط احرف الاشعار
أيدين لي حرّ الكلام ومقولي عبدُ الرقيب يشدّهُ بإسار
ان قلتُ وا « حرّيا » تزعم انني اسعرتُ نار « الحرب » بالنظار
ومن الخطوب الدُّهم اني قائلٌ نلتُ « المراد » وبلغتُ الاوطار
ان تُنشد ما وافت النفس اهدني سل « الرشاد » ولا يضلّك عثاري
او هاتفٌ ناديتُ باذحة الذرى المجد « يا وادي » رفيع ذرا
بكم كتاب كان طُعم بصيرتي قد اعترتهُ اضاعة طعم الاثر
واذا انحدرتُ الى الثرى خاطري حارت عليّ التي بيدار
لكن بعض أسفي وقلبي من أذى شعبٍ قد اضاعوا على الاحرار

وزاد على فكاهة الشعراء السابقين اصحاب الشعر العامي المعروفين بالقوّالة فنظموا في الاحوال الجديدة القرّاديات والمغنّى ومنظومات شتّى نختار منها ما رأيناهُ جديرًا بالذكر لحسن ذوقهِ وجودة سبكهِ وتفنن قائليهِ . فمن ذلك مخمّس للقوّال الشهير خليل سليمان فرح الدفّالي الشحروري (اطلب المشرق ٥ : ٩٥٨ و ١٠ : ٩٥٥) دعاهُ « صوت الحرّيّة » فقال في جملته :

صوت اليرى من قاع موسكو العميق لمّا وصل فه من أقوم طريق
المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة وانتصر عهد الحديد على العتيق

المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة والروح لبّتها بعد ذاك الهيئات
والرب اوعيها علا ونصر وحياة من بعد ما كانت حزينه باتسه
والظلم راح بخفقها خفيق
من بعد ما كانت حزينه باتسه ومظلله بقيود ضمن المحبسه
طلت علينا من مناستر لابسه ثوبًا ظهر من طيه نور ونار
وحامله منشور دستور الوثيق
ثوبًا ظهر من طيه نور ونار وحامله منشور ابهى من النهار
من فوق جبال مقدونيا لما انتشر سلونيك احرارها قالوا السلام
على فتاة فيها النجاة من كل ضيق

سلونيك احرارها قالوا السلام على فتاة منها انلد عصر السلام
والنور في سطنبول ساد على الظلام والرب على البوسفور طلّ من السما
يسمع ندا من كان في قاهر غريق . . .

حينئذٍ حنّ الملكون من سماه والتفت في كل من يبغي رضاه
وسار الطيبي يقرّ بوجود الاله والبري في عطف خالقه اتصل
والظالم اصبح مسجرو للحريق

والبري في عطف خالقه اتصل ياظالم بالانصاف والحق اعتدل
في قوة الـ ـعظيم الشأن عال

وحاراً في لطف قوله رضيعة الثوار يوس اسعدي القرآن فنظم القرآدية الآتية :

كلمة الحكومة الى الشعب السوري

ندى العسكر السلطان كل يا اخوان بناه شرفي السعادة
بطريق الحرية

كلامهم سوى بالحقوق وصار الظلم بالاجازوق والمتانين اصبح مخنوق
وامواله المالسوسيه

صاروا الجرائد بس السود ساءة رحمه ظلام قرود اسلام ونصارى ويهود
صاروا ناطق سوريه

صاروا الخوان واحباب من خلف به فيشاب وما بقي احد يهاب
من حاكموه السريه

يا ما يتموا اطفال ويا ما كثروا الارامل ويا ما خلوا اموال
ودانوا حقوق الرعيه

مادام كل الاولاد جالك تسعين يا جراد ليخلف ملك البلاد
وهك صارت سوريه

أما لهب دور النار نشبها نباري والنور انه ينصر العسكر
وتمها كل الجنديه

تمها تركيا الفتاة لولاها كنا امرات وكانت كل المطبوعات
بالزوايا مخفيه . . .

يا عالم متنا وعشنا ورب السما انعشنا ما عاد حدا يدفشنا
بالقبضه البوسفوريه

ما عدنا نخشى الظلام وصرنا نطلق الاقلام ما من مراقب يتحكم
وبغيم الجرنلجيه

كان مزيّر « للاحوال » ومقطّع « للسان الحال » وكان مؤخر « للاقبال »
« والنشره الاسبوعيه »

رنّي بقلب « الشمرات » « والبشير » كل الحسرات « بيروت » تبكي بالانات
وتقول يا حسره عليّه

من ريحه انطفى « المصباح » وانتنت كل الارياح « والنار » عانوره ناح
ناره صارت مطفيه

من جوره عا « المحبه » رنّى بقلبها غبّه زالت عن قلبها الكربه
وحمدت رب البريّه

ولاحد مهاجري اميركة قصيد في هذا المعنى وهو القوّال جرجس افندي عبد الله معارف :

الاحرار عمّال يرحموا عابلادنا كل منهم كان بالغربه اسير
كانوا اسارى اذ اقلامهم من هولها شابوا الطغاة بالسرير
لا تظن الشعب خامل بالنيام مثلما بفكرك وقايم للشخير
في النادي كل شيء بتوحد وما احد نال المعالي بالتجمير
عندك بابنان كل شهم بتفتخر فيهِ البلاد واليهِ بالاصبع تشير
ظام الحكومه غصب منهُ بيجبره ان يكون ذليل وحيان وحقير
حيث لو تلاقظ بكلمه واحده بيسركلوه وبينشروا عقه نشير
كام مرّه فتّشوا شحن البيوت عشرين مرّه يفتّشوا مبوم القصير
عاشان ورقه او جريده عادته للكبير بياقطوا ثم الصغير
ويرفعوا قرارات عليها يسادقوا القاضي والقائمقام ثم المدير
ذاك الزمان الحمد لله قد مضى والظلم مات وعمره اصبح دثير

ومما نظمهُ في جونية ارتجالًا القوّال ناصيف مخايل مراد العرموني قولهُ بعد مطالع القصيدة :

يا اسلام وسبحه اسمعوا لي . هذا القضيه اهل الارض بطول وعرض
يقولوا تحيا الحريّه

(الردّة) يا اهالي كسروان صيحوا معي بفرد لسان فليحيَ آل شمعان
ركن الدوله العليه

اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحريّه فليحيا نيازي وانور
والجيوش الشاهانيه

اهل الارض بكاملها من اولها لآخرها تركيا الله يسترها
بجاه رب البريه

بطل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد زمان الماضي ما بينعاد
الظلم نجومه مختفيه

مات الظلم وتلاشى الناس غنت بحماشا الله يديم انور باشا
ابو السعد القويه

ما شا الله مدينة بيروت ونصارها ومسلمين شبا مكتف مسوط وكل البشر فرحانين
فيها ما عاد حدا يموت لا بقواس ولا بسكين ولا بسجر فيها طرح صوت
السلطا والاشرفيه

وما اكتفى شعراؤنا بتزييف ما مضى وكشف القناع عن سيئات الاشرار بل استبشروا في وصف الهناء الحاضر والامان الشامل واطلقوا العنان للآمال الطيبة في الخصام الداء واستقامة العوج فمدحوا العدل وعظّموا الاخاء وأثنوا على المساواة فكادوا يسقوننا كؤس السعادة نشل بسلافة الاجيال الذهبية. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير يخاطب الجند العثماني:

اليوم نفرح احرارًا بفضلكمُ تندو وغبي ولا همٌ ولا نصبُ
قد أطلق الحرُّ من سجن أعين به وعاد للوطن المحبوب مغتربُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ولا جرائد تأتينا فنرتعب
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننامُ في الليل لا الاحلام تزعجنا ونهبشُ الصبح لا خوفٌ ولا رهبُ
كم بين حالٍ انتقلنا كلها طربٌ وبين حالٍ عدمنا كلها رهبُ

وقال اسعد افندي رستم:

يا معشر القرّاء سرّوا وافرحوا بشرى تطيبُ بها قلوب العشر
من ذا يصدّق انّنا في غفلةٍ كبرى هنا من بعد ويلٍ اكبر
فالعدل قد شمل الجميع بظلّهِ والناسُ بين مؤمّلٍ ومكبّر
لمّا رأى الاحرارُ انّ الظلم لم يعمل في الورى فعل الهواء الاصفر
هذا تضيعُ حقوقهُ ويُسامُ ذا خسفًا وذا يقضي بطعنة خنجر
منحوا الرعايا سرّهم فتخلّصوا من كل مأمورٍ مجورٍ ويفتري
والخائنون تشتّتوا فتطهّرت اوطاننا من شرّ ذاك العنصر
ولقد غدَت اولياء امورنا حتى لينذر ان يقولوا «.....»
وخلاصة الاقوال يا قرّاءنا حرّ السياسة راق بعد تكدّر

ولقد اقيمُ اليوم مجلس امّـةٍ يقضي ويمضي عن هدًى وتبصّرِ
وعلى التظلّم صار يجسر كلُّ من قبلًا عليه مخافةً لم يجسرِ

حتى ختمها بقوله :

تحيا المساواة التي لا فرق ما بين ابنِ مرسقَ عندها والسنكري

وهذه الشواعر يجاهر بها العثمانيّون على اختلاف ولاياتهم وتباين نزعاتهم نسمعها من الحدباء والزوراء كما يتغنّى بها اهل الشهباء والفيحاء . قال السيّد عبد القادر العبّاديّ البغداديّ :

تولّى زمانٌ كنّا فيه نُحقَرُ واقبل عصرٌ صرنا فيه نوقّرُ
ولاحت بافق الحدّ شمس عدالة جا قد غدا وجهُ السيطرِ يزهرِ
ألا انّ عصرًا جاء بالدلل مشرقًا هو العصرُ لا عصرٌ من الظلم اغبرُ
رعى الله عصرًا فيه لحرّ راحةٌ يقولُ فلا يمشي الامامَ ويظهرُ
يبيتُ قريرَ العين غير مفكّرٍ بما كان قبل اليوم فيه مفكّرُ

وقال الشيخ معروف افندي الرصافيّ :

أكرمْ بعصرٍ حيانا بالمساواةِ وخصّنا بالهناني والمسرّاتِ
عصرٌ به المرءُ مأمونٌ ومحترمٌ وكان يرمى بانواعِ الضلالاتِ
عصرٌ به العدل وافانا بنشرتهِ والدامُ ولّى باصحاب الدناءاتِ
عصرٌ به قد تآخينا نلوس ترى بعد الاخاء طريقًا للمداواتِ
عصرٌ به قد امنّا كلّ عاتلة من عصبة الشرّ ابناء السفاهاتِ
اللهُ اكبرُ هذا الدينُ فابتكروا خير الدعاء الى ربّ البريّاتِ

وقال في دمشق الاديب محمّد شاكر ياسين :

قُلْ ولا تخشَ ملامًا او ملَلْ انّ نجمَ الحيفِ والخوفِ أفَلْ

الى ان قال :

فتهنّأ ايّها الشرقيّ وقُلْ بلغ الشرقيّ غايات الأملْ
بلغ الشرقيّ ما يأملهُ وانالَ العلياء بالجدّ وصَلْ
ايها الشرقيّ قد بُلّغتَ ما كنتَ ترجوهُ فهل ثَمّ خلَلْ
قل لمن عاب الذي بُلّغتهُ انّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
فانبذ البغضاء والحقد ودَعْ كلّ ما فيه فسادٌ وزَغَلْ
كنتَ لا تملك امرًا ثم قد صرتَ ذا امرٍ فلا تخشَ الزلَلْ
صرتَ حرًّا ضمنَ قانونٍ به كلّ ما يأملهُ الشرقيّ حصَلْ

كلّ من في الشرق اخوانٌ فلا فرقَ بين الشّاذلي من كلّ الشّذل
واذا رمت افتخارًا فافتخر بالذي تأتيه من خير العمل
قُلْ ان كان ظلومًا غاشمًا اعتدلْ او فاعتزلْ فالعدلُ حلّ

ولم يشاؤوا ان تنحصر تلك النعم في الرجال وحدهم بل دافعوا عن حقوق المرأة ايضًا وطالبوا تهذيبها وتحريرها. فقال حضرة الشاعر خليل افندي بطرس حلوه :

أطلقوا روحها أنيروا نُهاها قد كفاكم إذلالُها وكفاها
هي ليست من دونكم ان يكُ م الله كما قيل منكم قد براها
ان تكونوا من الثرى قد نشأتم فلقد كان نشأكم مشاها
أجهلتم انّ الاطالع بالاخلاص و تحمي قلوبكم في حماها
فافتحوا عقلها ألا حرروها نحن نحمي اذا ثوت سماها
هل تسيغ الايام كبتَ على فتد بي وكبت غيركم بياها
هي مفتاح دنّنا وعلانا فارفعوها وأكرموا مثواها
ليس احلى من قلب امرأة فضل تهدي في طريقنا هداها

اكثرهم عرفوا انّ هذا التغيير لا يأتي بنتيجة الّا اذا ثبت على اصول راهنة ودعائم وطيدة لا سيما الاتحاد. قال جناب أيوب افندي ثابت يامن الانقسام :

قاتل الله كلّ من رام شرًّا باخيه وعاش بين الوطيئة
قسمتنا يدُ المفاسد دهرًا فانقسمنا فكان ذلك ليسه
يا قومي ان تُقسموا لا فلاحٌ انما تفلحون بالمقسمة
ان ضحكنا فلتضحكنّ كثيرًا او بكينا فموا لباشر سوءه

وبيّن الاديب بشير الفوردي في التقدّم التونسي فضل الاتحاد بقوله :

ليس يُرجى لامّة من فلاح غير ان هبّ كلّهم فردّ هبّه
شمراء الزمان كم نبّهتنا بنداها وكم خطيب بخطبه
انّ كسر العصا سهلٌ ولكن كسرة بعشر بمثام صعبه
نحن ان ظلّ جمعُنا في شتات ليس يُرجى لحالنا من نائبه
من رجى بالدواء وهو عليلٌ كيف تقوى على شفاء الأطبّه

وكذا يحرّض جناب الشاعر نعوم بك شقير على التعاضد :

بني امّي اسودة البرّ هبّوا قوتُ اليوم او نحيا سوية
حذار فتنةً نسي الينا تركناها مطامعُ اشبه
حرامٌ أن تُراقَ لنا دماءٌ بزكاةٌ وارواحٌ بريه
ليعضدَ بعضُنا بعضًا ونبني امانينا على أسس قويه

ففي ضمّ القلوب الخيرُ بادٍ وفي تفريقها شرُّ البليّة
وقيتم كلَّ نازلةٍ وكربٍ وأعلى شأنكم ربُّ البريّة

هذه بعض الشذور الذهبيّة والاقوال الدريّة (١ نظمناها على شبه عقد يزدان به جيد الآداب العصريّة ولعمري انّها لجديرة بالاسم الذي حلّيناها به فدعوناها « بالحماسة الدستوريّة » اذ كلها ترمي الى غرض واحد اي الدستور الذي حظي به العثمانيّون فحسبوهُ كنهاية عالم عتيق كما زندهُ وتضعضع ركنهُ وكدفتتح عهد جديد اشرقت بهجتهُ وتلألأت غرّتهُ فكأني بهم يردّدون جميعاً بلسان واحد قول نعوم بك شقير :

لتهجر بيضُنا الأغمادَ حتى نُقيرَّ العدل والدستور فينا
من الدستور لا نرضى بديلاً ولو طُبحت لنا الأمانا طبخنا

فكلُّ هذه الاقوال وغيرها ايضاً مما يطول ذكرهُ تعرب عن رعبة الامة في خلع نير العبوديّة وعن ارتياحها الى الامن والسلام والوفاق والانضمام . وهي عواطف شريفة لا ينبذها الّا الذين يودّون الضغط على النفوس ويريدون ترويج نيّاتهم السيئة . وغاياتهم الشخصيّة

ولو كان الذين قرضوا القريض ونظموا القصائد اكتفوا بان يترجموا عن هذه العواطف الشريفة لأثنى عليهم كلّ عاقل وشكر احساساتهم اللطيفة واطنب على رغبتهم في الخير العامّ ونقل اقوالهم المسجدّية في كل ناد ورواها على رؤوس الاشهاد وقد يسرّنا انّ بعض هؤلاء الناظمين تجاوزوا الحدود ومالوا الى التطرّف

فمن تلك المبالغات التي لا يرضى بها العقل ويستقبحها شرع الامم المتمدّنة والهمجيّة ما نبذ بعضهم لبدا الرئاسة . لا بأس ان تكون الرئاسة مقيّدة لئلّا تستبدّ ولكن اين هذا من مبدأ اهل الفوضى الذين لا يرضون برئيس ولا سلطان فيعرّضون العمران البشري لكل الآفات وضروب النكبات . وعليه لا يسعنا المصادقة على ما قالهُ في اميركة جرجس افندي عبد الله معارف في جوابه على الاديب اسعد افندي جرجس مارون وهو يدّعي انهُ من المتأخرين لمدافعته عن الرئاسة :

دافعت يا ابن الذكا بدون اقتدار عن الرياسة مع انّا اصل الخراب
بها حكيت وقلت عندي بتعذر حيلك من الجيل العتيق بتنحسب

(١ لا جرم انهُ فاتنا شيء كثير من القصائد الدستوريّة التي لم تبلغ الى يدنا او بلغتنا بعد كتابة هذا الفصل . ولعلّنا نعود اليها ونجمع منها نبذة ثانية اذا توفّرت لدينا المادّة

ثم يعدّد مساوئ البعض حاملاً على المجموع ذنب الافراد فيقول سامحهُ الله :

جبـّة السوداء ودقون الكبار خربوا الجبل حتى نتن فيه الغراب
ورجال الحكومه كلهم كانوا غبر ما بهم غير بطنهم مثل الدباب

فيا لله أهكذا يُعرَف فضل مئين من الذوات من اساقفة وكهنة وشيوخ الذين سعوا في اجيال الظلم في الدفاع عن حقوق المظلومين ومساعدة البائسين . وهل نال اليوم الشعبُ كل رغائبه لتشدّق بعض اهل الثورة كما قال :

والجرائد اظهرت افكارها بتقدّمهم صار جرنال الصغير ! !
وانتقد في كلّ لمحه قاله ما بنا بهمّه مليك ولا وزير

واساء بعض الشعراء ايضاً اذ نادوا بالمساواة ليس فقط في الحقوق والعدل ولكن بالرتب ايضاً وتباين الطبقات (راجع مقالتنا في المساواة في المشرق ١١ : ٨٦٣) فلا يرضون لا بسيّد ولا امير ولا بعالم ولا غنيّ . وقد احسن جناب الاديب الحلبيّ ويكتور خياط اذ افحمهم بقوله :

عظّم الخطبُ واعترانا البلاء ودهتنا المصيبةُ الدهماء
وُلِبِسنا من الزمان بقوم م بما يفعلونهُ اغبياء
زعموا انّ في المساوي الغنى فبنوا كيفما احبّوا وشادوا
واستباحوا المحرّمات ونادوا تلك حرّيةٌ وهذا اخاء
كلّنا اليوم سيّدٌ وامير كلّنا اليوم في الدنى أكفّاء
ليس فينا علّامةٌ بتباهى بعلوم بل كلّنا علماء

أيها الناسُ قد ضللتم سبيلاً وخبطتم كأنّكم عشواء
ما التساوي ان تستوي ادنياءٌ ومراءٌ او ظلمةٌ وضياء
ما التساوي ان يساوى الجبالُ والتلُّ م وتلو الماصبَ السفهاء
واذا استشر البناتُ بقطرٍ قلّ تاكُ البلادِ النقباء
فدعوا الفصل للحكيم وقول م الحقّ للعاقلين يا جهلاء
ليس من ينكر المساواة حكماً أنّا نحن في الحقوق سواء

ومنهم من اطرأوا حرّية المطابع الى حدّ فاحش فجعلوا الطعن بالاشخاص ديناً وشتم الكرام ديدناً . وعليه قد اصاب الاديب جرجي افندي نخله سعد في تنديده بالصحافة السيئة بقوله :

كثرت عندنا الجرائد حتى اوشكت ان تُناهز العشرينا
وكثيرٌ يسعى لنيل امتيازٍ فكأنّ الوجود لا يكفينا . . .

ازعجوا القارئين في كل يوم بمواضيع ملّها القارئونا
ثم ظنّوا حرّية القول ان لم يتّخذوا الطعن والوقيعة دينا
ما ارى في جرائد العصر الّا سقطاتٍ تُخَطُّ حينًا فحينا
نغمٌ واحدٌ يعادُ علينا قد شجينا من سمعه وروينا
ليت شعري كم يبحثون بامرٍ ليس يدرون غثّهُ والسمينا
أيهم يعلم السياسة والفقه وعلم الجغرافيا والفنونا . . .
ليس يكفي ان تدرس الصرف لم والنحو وتدري التحريك والتسكينا
انّ فنّ التحرير اصعبُ ممّا ظنّ بعضٌ وقد اساء الظنونا

واسوأ من هؤلاء اولئك الذين توسّلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانتهكوا حماهُ وبخسوا حقوق ممثليه. فترى هذا ينسب الى الدين كلّ الشرور واسباب التأخر والدينُ كما لا يخفى بأسٍ بالاخاء والتحاب (راجع مقالتنا عن الاخاء في المشرق ١١ : ٩٣٢). وذاك يزري بالخطباء ويتّهمهم حتى انهُ آثار عليه خواطر الجموع. وغيره يدّعي انّ الدين لا دخل لهُ في العمران وانهُ من المسائل العرضيّة:

حلّ قيدي وشيخكم في حبالي واحكمي لي في المسائل الجوهريّة

وان ذكر الذين حُكموا عليهم بالظلم في وقت الاستبداد تعجّب انّهم لم يُكرّموا كالمسيح مثل السيّد المسيح (زه زه):

مات عيسى فأبقت الموتُ والموتُ مات وماتوا ضحيّة !!!

وبجعل آخر كلّ الاديان متساويةً كلها صحيحة والله موجدها على اختلافها:

أوَلا تدري انّ ربّك يُعبَدُ بجميع الاديان اذ يتسجّدُ
ذاك يدعو عيسى وهذا محمّدٌ انّ فيه في التباين مقصدُ
فاشكروا الله موجد الاديانِ

فعلى هذا القول يكون الله موجد دين الهنود والصين والاصنام الرجسة وكل الطواغيت والله تعالى عمّا يقولهُ الكافرون مقصدٌ بتباين هذه الاديان. فليت شعري أيوجد كفر اعظم من هذا. فنشدكم الله ايها الشعراء صونوا قوافيكم من كل امتهان ولا تبتذلوا موهبةً جاد بها عليكم المنّان. بل اشحذوها لمدح كل جميل. وترّهوها عن كل قبيح ذليل. فكل ما يشين الاقلام سوف يجد الانسان تبعتهُ في آخر الايام. كما قيل:

فارغب لكفيك ان تحظ بناها خيرًا تخلّفهُ بدار غرورِ
فجميعُ فعل المرء يلقاهُ غدًا عند التقاء كتابه المنشورِ

عوائد الحبش

للصيدلي القانوني ميخائيل افندي عبد الله رعد (تابع لما سبق)

٥ الاماثر والظواهر والسلام

اذا كان الحبشي من ذوي المكانة في قومه قلَّما يخرج من بيته ماشياً بل يخرج راكباً بغلاً وتتبعه حاشيته وغلمانه وعبيده واكثرهم يركضون وراء دابته حاملين البنادق على اكتافهم وعلى مقربة منهُ يجري غلام يحمل بندقية السيد وترسه وسط غلاف من القماش الاحمر المعروف بالجاوي . وهكذا تُعرف اهمية الحبشي من كثرة عدد الحاشية التي تتبعه وليس من رتبته — فقد يكون ذو الرتبة الوضيعة اكثر اهمية من ذي الرتبة الرفيعة على حسب ثقة الملك او الامير به — وهكذا النساء فانهنَّ على حسب اهمية ازواجهنَّ يخرجنَ راكبات بغلاً وحولهنَّ الغلمان والعبدات وبعض من الرجال المسلحين بالبنادق

قد المعنا فوق هذا الى ان الحبشي لا يلبس حذاء في رجليه ولذلك ترى على سروج الدواب حلقات من حديد بدل الركابات يلقي فيها ابهامه فقط ويهمز الدابة بساقيه على الدوام فيجريها جري الرهاوين

اما السلام عندهم ففيه كثير من التصنُّع والظواهر فهم يحيّون بعضهم بعضاً بالانحناء ويخرّون سُجّدًا على الارض امام الملك والامراء والرؤساء ولا ينادي احدهم الآخر الا بقوله : يا سيد . واذا كان بينهما من قرابة او صداقة او معرفة دعاه اخاه والاخ الحقيقي يدعو اخاه « اخي ابن امي » . وعبارات التحية عندهم قصيرة التركيب مع كثرتها تشهد على فقر اللغة الحبشية وقلة تثقيف آلها فيقولون : كيف انت ؟ كيف صحتك ؟ كيف قضيت الايام ؟ كيف قضيت الليل ؟ كيف النهار ؟ كيف اصبحت ؟ كيف اضحيت ؟ كيف امسيت ؟ كيف قضيت الصيف ؟ كيف قضيت الشتاء ؟ كيف ابوك ؟ كيف امك ؟ كيف امرأتك ؟ كيف اولادك ؟ كيف الدواب ؟ كيف المقتنى ؟ الخ . الى ما لا نهاية له . وعلى كل من هذه السؤالات يجيب الخاطب بانحناء الرأس والظهر قائلاً : بخير يُحمد الله . واذا حان الوداع قبَّل احدهما الآخر على شفتيه ثم انحنى

كلاهما وقبّل الواحد ركبة الآخر قائلين: كن بخير. فليحفظك الله. فليجمعنا بخير. ويجيب بعضهما على بعض: آمين ثم يفترقان. ولمّا تحية العبد لمولاه وتحية الرعية لملكها او لاميرها فهي السجود الى الارض بلا كلام. والذي يكون منهم ارقى من سواه ومتقرباً من مولاه يُسمح له بتقبيل رجليه. وتحيـة الوضيع للرفيع هي الانحناء او السجود على حسب الدرجات والنطق بهذه العبارة: فليعطكَ الله صحةً. او عمرًا. فيجيب السيّد بنعم حاجبه: كيف اصبحت؟ فيخرّ العبد او الخادم ساجدًا وهو الجواب

ولهم ازياء في لبس الوشاح فهم يتشحون به على هيئات لها معانٍ وآدابٌ مختصّة بهـا. ففي الحالة الاعتياديّة يتغطّى الحبشي بوشاحه على طول قامته ثم يردّ اطرافه على كتفه الشمال وقد يغطي به احيانًا رقبته ويجعل طرفه فوق الفه ولكنهُ اذا كان بحضرة سيـده أتزر بوشاحه وردّ طرفه على كتفه اليمين وهي عندهم اشارة الاحترام

واذا جاء الحبشي زائرًا يدخل راكبًا بغله الى امام المسكن ولكنّ حاشيتهُ يبقون بهائمهم خارج منطقة الزريبة والخدام والغلمان لا يدخلون البتة وهذه ايضاً من علامات الاحترام

٦ الزمان والاعمار

الاحباش اكثر من سواهم من الشعوب المتأخرة في المدنية لا يعرفون للوقت قيمة والعجلة عندهم اسم لغير مسمّى فلا يعملون اليوم ما يستطيعون عمله في الغـد وسيّان عندهم أتي العمـل عاجلًا او آجلًا حتى ان لغتهم نفسها ليس فيهـا اشارة ولا اداة تدلّان على المستقبل او تفرقان بينه وبين الحاضر في تصريف الافعـال. لذلك تتقدّم بلادهم نحو التمدّن وان محسوسًا انما يجري ببطء وسكون فقـد جُبلوا على البطء في كل اعمالهم حتى ان الغريب ييأس من جمودهم في بادئ امره الّا انهُ لا يعتم ان يعتادهُ فلا يقنط من الحصول على مبتغاه عاجلًا كان ام آجلًا

امّا حساب الزمـان عندهم فانهم يتبعون السنة المصريّة وهي تتألف من اثني عشر شهرًا كل شهر منها عدد ايامه ثلاثون يومًا يعقبهم في آخر السنـة شهر صغير عدد ايامه خمسة ايام فقط وهي المعروفة في مصر بايام النسيء يزاد عليها يوم سادس مرّة في كل اربع سنين وهي السنة الكبيسة. وهم ينسبون السنين اربعَ اربع الى الانجيليين

الاربعة وعام القديس لوقا هو العام الكبيس عدد شهر نسيئه ستة ايام . وسنفرد للكلندار الحبشي مقالة مخصوصة ان شاء الله

قلما يكترث الحبش لمعرفة اعمارهم واذا سألت مستفهماً عن عمره اجابك : « ومن اين اعرف ذلك ؟ اسأل امي التي ولدتني فلا بدّ انها تعرف » . او اذا كان ارقى درجة قال لك : « امي قالت لي انهـا ولدتني عند ما حارب الملك يوحنس الدراويش » او « عند ما ذهب الرأس مكونين لاخضاع بلاد العبيد » او « لمّا اخذ منليك هرر » او « لما ذهب منليك ليحارب الطليان » ونحو ذلك من الحوادث التاريخية في بلادهم . فبدرس تاريخهم تستطيع ان تحسب اعمارهم

٧ الزواج والمرأة

الحبش وان نصارى قلما يتزوجون طبق الاصول المرعية في الزواج المسيحي . زواجهم اذا تمّ قانونيًا لا يقبل الانحلال على الاطلاق وكنيستهم بذلك تتّبع التقاليد المستقيمة التي ورثتها عن كنيسة الاسكندرية قبل دخول البدعة اليعقوبية فيها . وقد يتطرفون الى اكثر من ذلك حتى يمنعوا اقتران احد الزوجين بعد موت قرينه . ولكنّنا نرى مع الاسف ان قلّ من تزوّج على هذه الصورة وهم في الغالب يتزوجون زواجاً مدنيا يقوم باتفاق الفريقين واقرارهما بهذا الرضى امام الشهود وبحضرة القاضي . وهذا النوع من الزواج يسوغ فيه الطلاق في ايّ ساعة ولأي حجّة كانت . وعنـد الافتراق يقتسم الزوجان ما عندهما من الامتعـة والاواني والمال متناصفين مع قطع النظر عن الجاني وكيفيّة جنايته . امّا الاولاد فالذكور يأخذهم الرجال والبنات تأخذهنّ الامهات

وقد يتزوّج الكثيرون من عامة الناس نوعاً ثالثاً من الزواج يقوم بان يتّفق الرجل مع امرأة على راتب شهري او سنوي وله ان يطلق سبيلها متى شاء فيدفع لها المستحق من اجرتها لا غير

فللبيب غنى عن البيان انّ الاتحاد على هاتين الصورتين الاخيرتين ليس على الثبات من شيء ولا هو مبني على اساس وطيد فينتج عنهما تعميم الفساد في العوائد وفي الدين ولا يُستطاع فيهما تربية الاولاد على الاطلاق هذا عدا ما ينجم عنهما من المشاجرات واطلاق العنان للشهوات وتعميم الشرّ والرذيلة في البلاد والسير بهما الى التوغل في

التوحش بدل الاقتراب من التمدن. وهذا من الاسباب الرئيسيَّة التي تحول بين الحبشة وسرعة تمدّنهم. والاكليروس مع كثرة عدده لا يستطيع ان يغيّر هذه العادة اولًا لانهُ جاهل بل قُلْ انَّ اجهل الناس في الاحباش الكهنة ثم لتوغّل الشعب في ظلام الجهل واطلاقه الاعنَّة للفساد فلا يصغون لقول الناصح ولا يفقهون ثمرة النصح. نعم ان بعض الكبار منهم يتزوجون الزواج الكنسي لكنَّهم جروا بموجبهِ لان الظروف اجبرتهم عليهِ امَّا هم فلا يدرون ماهيته ولا يعرفون كنههُ فتجد بيوتهم ملأى من النساء غير الشرعيات والخادمات والإماء. ولهم اولاد من كلهنَّ وجميع هؤلاء الاولاد شرعيون بعين الحبشة الحاكمة لا يختلف ابن الأمة عن ابن الحرَّة اذا كانا لأب واحد لا في إرث ولا في غير ذلك من الحقوق. فهذا الامبراطور منليك نفسه ابن الملك هايلا ملكوت فانَّهُ من غير امرأته الشرعية اذ لم يكن لهُ منها ولد. وهذا ولي عهده الامير ياسو ابن ابنته ابوه الراس ميكائيل الذي لم يتزوج قط بابنة منليك زواجًا شرعيًا حتى ولا مدنيًا. وهذه الامبراطورة طايتو متزوجة بمنليك زواجًا غير شرعي بعد ان كانت زوجةً للراس وَلْدي وهو الى اليوم حيّ يُرزق. وقد شاع ان زواج هذا العاهل أُعطي صبغةً شرعيَّة كنسية في هذه الايام الاخيرة ولكنَّ هذا زيادة في التقبيح وليس بذاك فان الراس ولدي حيّ مغضوب عليهِ معزول من وظيفته. فمن هو الاسقف الذي يجرؤ هذا الزواج تزانيًا او سمح بعقده ؟ . . . نقف عند هذا الحدّ حتى لا يزلق بنا القلم فنكشف الستار ونبيّن الشنار عن كل ما عرفناه وسمعناه منذ ان وطئنا هذه الاقطار التي تجدّ ذاتها هي جنَّة وخصوصًا في قلب افريقيـة ولكن لم يسعنا الاغضاء عن هذا القليل انتصارًا للحقّ وردًّا لحملات بعض الكتبة الافرنج الذين كتبوا ولم يزالوا يكتبون المقالات الطوال عن الحبشة فيعتبرون هذه العوائد بالطبيعية ويزعمون انهُ يجب اتباعها في كل مكان وبالتمدّن الـ ـم ولو وقفوا عند هذا الحدّ فلا الامر كذلك يتعدى . . . على المذهب الكاثوليكي الذي يعدّ ذلك من المنكرات . . . استعملت نفوذها وقوَّتها عضدًا لتعاليمها ونصائحها . . . الشرور. نعم ان الكنيسة الحبشيَّة نفسها قبل تكلمها في وامرآتها الذين يطلقون العنان لمثل هذا الفساد وتـ مثالًا للشعب فيصعب استئصال الشرّ منهُ لا استبدادً

هذه سيرة الاعيـان فما عسانا نقول عن الشعب وحالته وكيف نصف الرذائل التي هو منغمس فيها ؟...

امَّا المرأة وحالتها فهي ساقطة مستعبدة في بيت زوجهـا ما خلا بعض الاميرات والشاذّ لا يقاس عليه بل ان الاميرات انفسهنَّ وان محترمات مبجّلات في عين الغريب الَّا انهنَّ عبدات امام ازواجهنَّ في معيشتهنَّ الداخليَّة . وبشوع الاجمال انَّ على المرأة في الشعب القيام بمهمات البيت فهي تطحن الحبوب وتعجن وتخبز وتأتي بالماء وبالوقيـد من الخارج على ظهرهـا وتطبخ وتهيئ الاطعمة وتحضّر البوزا وقلما ترقد ليلها من غير ان يجرّد زوجها عليها عصاه فيضربها ضرباً قاسياً بلا شفقة لاي حجة كانت وقد تكون حجتهُ وهميَّةً صوَّرتهـا لهُ حالة السكر ولا حرج عليه امام الناس والحكومة . وهي فوق ذلك تذهب الى السوق لشراء الضروريات وتغسل القطن لحياكة ثوبها وثوب رجلها . امَّا الغسيل والخياطة فهما عمل الرجل

وقد يعلّم بعض الكبار لبناته القراءة كما يعلّم اولاده الصبيان الَّا ان ذلك نادر جدًّا والنساء اللاتي يعرفن قليلًا من القراءة لا يتجاوزن عدد الاصابع في مجموع النساء الحبشة

٨ العائلات والاسماء

مما تقدم من تبيان سوء روابط الزواج يظهر جلياً للقارئ الكريم ان من المستحيل ان تُضبط روابط العائلات والانساب وان يُفرق بينها باسماء معروفة . لذلك لا يُعرف الحبشي الَّا باسمه الخاصّ ولا يجمع بينه وبين ابيه واخيه وابن عمه مثلًا اسم عامّ يختص بالعائلة وهو ما ندعوه باللقب . فالحبشي هو فلان لا غير والقليل منهم يُعرف بفلان بن فلان لا فلان الفلاني

الَّا ان لاكثرهم اسمين اسمٌ بالمعمودية او بالنصرانيـة واسمٌ آخر يُعرفون به وبعضهم يُعرفون فقط باسم المعموديَّة واخصهم الرقيق . فاسماء المعمودية دينية محضـة مأخوذة عن اسماء الجلالة واسماء القديسين الشهداء وهم يضيفونهـا الى « عبد » و « ابن » و « قوة » و « نعمة » و « سلاح » و « غرسة » و « عمود » وما ضاهاها . مثال ذلك : گبرا ازگهار (عبد الله) ولدا ميكائيل (ابن ميخائيل) هايلا مريم (قوة مريم)

تقلا هيمانوت (غرسة الايمان) سهلا سلاسيه (نعمة الثالوث) عمدا كرستوس (عمود المسيح) وقس على ذلك ما جرى مجراه . امّا الاسماء المتعارفة فهي مختلفة الانواع والتراكيب فمنها اسماء ومنها افعال ومنها جمل ومنها اصوات صراخ الى غير ذلك. مثلاً : منايك (مَن معادلي) مكونين (القاضي) دنستا (الفرح) مَسفِن (الامير) فرّدا (حكَمَ) أبيا (أزهر) وندمْ اگانيو (وجدتُ اخاً) زَوردي (تاجي) گبره (خادمي) گبرو (خادمهُ) تغري (المهول) أشوا لول (لؤلؤ الرمل) گيتا هون (كنْ سيداً) إشْ بله (قل لي نعم) طنف يأهم (لن يكون لك ذرّية) الى غير ذلك مما يضحك الثكلى . وللاناث ايضاً نفس هذه الاسماء على صورة التأنيث

على ان اعضاء العائلة المالكة اليوم وانسباءهم المعروفين بذرّية هايلا سلاسيه (جد النجاشي الحالي مالك الشرا) يعدّون نفوسهم من الاشراف في الحبشة لا لاستيلائهم على السلطة فقط بل لادّعائهم انهم من سلالة سليمان الحكيم ابن داود النبي . فيتولون — وهي خرافة يتزلونها في الحبشة مكان الصحة التي لا ريب فيها — ان ميكادي ملكة سبا عند ما ذهبت الى اورشليم اتخذها سليمان الحكيم له امرأة وولدت ابناً هو منليك الاول (راجع المشرق ٦ : ٩١٥) . ولمّا شبّ منليك هذا ارسله ابوه الحكيم الى الحبشة مصحوباً باثني عشر قائداً يمثلون الاثني عشر سبط اسرائيل وبعدد عظيم من الجنود والحاشية فاتى وضبط زمام الملك وجعل عاصمته مدينة اكسوم . ولما استتبّ له الامن سنّى القواد رقعته امراء وقسم بينهم المملكة إمارات يحكمونها تحت سيادته . لكنّ ظروف الزمان وكرور الايام ونكبات الحروب غيّرت هذا التقسيم وقلبتهُ مرات عديدة ولم يزل يتقلّب ويتغيّر ويتقسّم الى اليوم . الى آخر ما هناك من الحكاية ! . . . فهم يدّعون اليوم ان منليك الثاني الحالي هو وعائلته من سلالة منليك الاول ابن سليمان . ولا عجب فقد تأصلت هذه الخرافة في الحبشة منذ عهد بعيد وادّعى جميع ملوك الحبشة وامبراطرتها نفس الادعاء واتخذوا لنفوسهم نفس النسب مع انهُ مما لا يختلف بهِ اثنانِ من المؤرخين ان هؤلاء الملوك لم يكونوا كلهم من اصل واحد . والله اعلم . وقد دعا الافرنج هذه العائلة بالسليمانية لادّعائها بهذا النسب الّا ان اعضاءها لا يلقّبون بهذا اللقب بل هم يتفاخرون فقط بكونهم من ذرّية سهلا سلاسيه

هذا نظر اجمالي عن عوائد الحبش وهو الاخير الذي نسطرهُ في هذا الاقليم .

وسنلحقهُ بايضاح احوال الحبشة الاجتماعية والحكومة في الحبشة وذلك بعد عودتنا الى الوطن العزيز ان شاء الله

نخبـــة

من امثـال القس حنانيًا المنيّر

تلامذ عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تابع)

معاملات

ما لهذه الكنيسة الخربانة الّا هذا الخادم الاعمى (١ = ما لهذه الدنجة الوخمة الّا هالرهم النجس = من ساواك لنفسه ما ظلمك أو من عاملك بسوات (بثل) نفسه ما ظلمك = الظلم بالمساواة عدل = ظلم بالسويّة عدل بالرعيّة = اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك = من ذكرني بعظمته كنت عنده عظيم = الوردة تنا بتشبع لكنها تطيّب المانس (٢ = من رادك زيده ومن طلب بعدك زيده (٣ = من سأف لا يستوحش = من سأف السبت رأى الاحد قدامه = يا ما لستّي (٤ عند سيدي = الدهر مكافاة = الذي ياكل هالأكلات بيقع هالوقعات (٥ = اخذ التار بما هو عار (٦ = الذي ياكل حلوتها ياكل مرّتها = كما تراني يا جميل اراك = من استحى من شي يضره ما اكتمل عقله = الذي يدقّ الباب يسمع الجواب = من يزق بكتفك

---

١) ويروى اليوم هكذا (الكنيسة بخربانة وخادمها اعمى)

٢) المانس يزيد جا هنا (الانوف او (الانواه)

٣) رادك بمعنى ارادك . واثبت عين الاجوف في الامر حسب عادة العامة

٤) العامة تستعمل ستّي بمعنى سيدتي

٥) ويروى عندنا اليوم هكذا (اللي ياكل هالأكلات بيموت بهالوقعات)

٦) ويروى لهجتنا (اخذ التار ما هو معيار) والتار بتخفيف التار بالتاء المثلثة والمعيار بمعنى العار عند العامة

ابزق بدقنه (١ = كثير على نايك كل الناس تستهابك (٢ = الحيط الواطي كل الناس بتنزه (٣ = لا تعرض بضاعتك بتكسد (٤ = عز نفسك تجدها هينها تهان = ضر بني وبكى سبقني واشتكى = الضرب لمن سبق = تحركش (٥ بالحمى حتى تجيبه البردية = مفتاح الشر كلمة ومفتاح البطن لقمة = اضرب وعتق الجرح وآخر الدنيا للصلح = ما يقطع بالشجرة الا فرع منها = دود الجبن منه وفيه = الذي بيده يده للدراخيش (٦ بتعضه الحيات

الاعرج والاقرع والاعور

شفيعه وبيتها بعيد وعرجا ودرب بيتها بيزلق = قال: صبحك بالخير يا اقرع. قال: هذا باب الشر = اقرع ودقنه طويلة. قال: بيعه على بيعه = اقرع لا تجاكره واعور لا تناكره (٧ = القرعا تتجاهى (٨ بشعر بنت خالتها = بتبان القرعا من ام الشعر = ما هو من خبرتي بقدر ما دخل على قرعتي (٩ = لا تقول طاسة في بيت الاقرع (١٠ = من اين ما ضربت الاقرع بيجري دمه = قالت لها: بكره تعي بكير (١١. قالت لها: على فرشتك هالناعمة ؟ = قرعا وبتنام بالنصف = اقرع وياكل حلاوة. قال: بنلوسه = هذا

---

١) ويروى (الي بيبزق بكفي بيبزق بوجهه) وبزق محرف بصق

٢) استهابه عند العامة اي خاف منه

٣) فزّ عند العامة بمعنى قفز ووثب وعندي انها محرّفة عن تمز. والحيط بمعنى الجدار عند العامة وهو محرف حائط

٤) ويروى اليوم (الي بيعرض بضاعته بتكسد)

٥) تحركش محرّف تحرّش به اي تعرّض له

٦) يريد بها هنا الثقوب

٧) جاكره عند العامة بمعنى اغاظه واغضبه. وناكره عندهم بمعنى جادله

٨) ويروى عندنا الآن هكذا (القرعا بتتكنّى بشعر بنت خالتها) وتتجاهى تطلب الجاه وتفتخر

٩) تستعمل العامة القرعة بمعنى الرأس الاقرع مطلقاً. ومعناه ان معرفتي ليست من ذكائي ولكن من اختباري ومعاركتي للايام

١٠) لما في الشبه بينهما فيغضب الاقرع

١١) بكرة عند العامة بمعنى غداً وبكير باكر

الاقرع عمري ما جرته = جبت الاقرع حتى يسجمني (١ كشف قرعته وفزّعني = حرت يا اقرع من اين اجرك = يطيلع من الحافي نعل ومن الاقرع شعر

الصنعة

قالوا لليهود: حطّوا خرّاجين (٢. قالوا: قوي (٣ دين سميك حتى نسأف عليه = قالوا للقاق: ليش يتسرق الصابون. قال: الأذى طبع = قالوا للسلطعون (السرطان): ليش يتمشي على جنب. قال: شب ويليق له = قالوا للبغل: من ابوك. قال: انا خالي الحصان = قالوا للخياط: بدك تسافر. وضع ابرته في قاووقه وقال: يا الله (٤ = قالوا للوتد: علامك داخل في الحيط. قال: من الدق الذي لاحقني = قالوا للديب: بدهم يرعوك الغنم صار يبكي قال: غبرتهم بتضرّ عيني = قالوا للرعون: من فرعنك. قال: ما أحد ردّني

الجمل

قالوا للجمل: ما هو كارك. قال: بدق بالقصب (٥. قالوا: باين على صبيعك الرفاع وتك (فك) الضيق = الجمل لو يشوف حردته (٦ كان يوقع بيكسر رقبته = قال: عد جمال ابوك. قال: واحد بارك وواحد واقف = النبي له بالجمل اذنه بينوخه للارض = جمل موضع جمل يبرك = جمل بدرهم ودرهم ما فيه = بيبلع الجمل ويغص بالبعوضة = الجمل يفكر والجمّال بغيره = يا ما كسّر هالجمل بطيخ = مثل الجمل بيض الشندابي (نبات شائك يأكله) وعينه بالاخرى = الجمل اذا بار حمله

---

١) سجّع تصحيف شجّع

٢) الخرّاج الذي يجمع الخراج كالمشّار الذي يجمع الشر

٣) قوي عند العامة بمعنى كثير

٤) القاووق شبه طربوش طويل يلبس على الراس ويكون غالبًا من الصوف. وتقول العامة (يا الله) عند الابتداء بعمل

٥) الكار ضد العامة بمعنى المهنة. ودق القصب عند النفخ في المزمار والشبابة ونحوهما. والصبيع جمع اصبع عند وكانما عرف اصابيع

٦) حردة الجمل سنامه

قنطار = قال: شفت الجمل. قال: ولا الجمّال = كل الجمال بتمارك الّا جملك بارك

الكلاب

قالوا للكلاب: اركضوا وعوّوا. قالوا: ما بتقدر (١ تعمل كارّين سوا = الكلب الذي ما بيروح للصيد الّا بالشباق بنس منه ومن صيده (٢ = قالوا للكلب: كم حجر تاكل باليوم. قال: بتقدر ما بشوف زعران = الكلب اذا طاف بزّين وبحرين ما يزداد الّا نجاسة = أمّن الكلب على الجواهر ولا تأمنهُ على كسرة خبز = اشبع كلبك يحمي دارك. جوّع قطتك تاكل فارك = الكلب كلب ولو طوّقته بالذهب = الذي يمتاز الكلب بيسنيه الحاج كلبون (٣ = ما زاد على القلب الّا ذنب الكلب = كل الكلاب احسن من حيمور = حطوا ذنب الكلب اربعين سنة في القالب رجع اعوج (٤ = كلاب اولاد كلاب = كلب ينبح معك ولا ينبح عليك = الكلب الحايم ولا السبع النايم (٥ = خلّف الكلب (ويقال القرد) جزو طلع ألعن من ابوه = دلّت دلّت حتى اجا الكلب لتّها (٦ = كلب الامير امير = كلب داير ولا سبع مربوط = اذا عضّك الكلب انت بتعضّ الكلب = ما ضاعت العصا بالكلب = ربّ كلبك يعقر جنبك = الجنازة حافلة والميت كلب

العين

العين التي شافت وشهدت حلّ قاعدها = العين ما بتحبّ أعلى منها = العين ما

---

١) مرّ معنا ان العامة تزيد باء قبل الفعل المضارع واذا وقع بعد هذه الباء نونًا لنظروا الباء مبدأ فقالوا منقدر في بنقدر

٢) وروايته عند عامتنا اليوم هي (الكلب الي ما بيروح عالصيد بلا قالوعة بلاه وبلا صيده) والشباق والقالوعة بمعنى الرباط. وبلاه اي بدونه

٣) وروايته الحالية عندنا (اللي ماوز الكلب بيقول لهُ صبّحك بالخير يا سيّدي)

٤) وروايته عندنا (ذنب الكلب ما بيتقوّم ولو حطوه مائة سنة بالقالب)

٥) وهو اشبه بالمثل الشهير (كلب حي خير من اسد ميت)

٦) دلّت اي ذلت من الذل. ولتّ الكلب الماء ونحوهُ اذا شربه بلسانه والفصيح ولغ ولعلّ لتّ محرف ولغ

بترتفع فوق الحاجب = العين ما بتقاوم تخرز = العين بصيرة واليد قصيرة = ما هو حسد لكن ضيقة عين = الذي عينك فيه يد غيرك فيه = شيل من ديله (ذيله) واعصب له عينه (١ = يا حاجبه يا عينيه قال: على المغتسل بابن = عند عازتي اليها دبّلت عينيها = يا عيني هُرْني ومشل الناس كوني = كرامة عين تكرم مرج عيون = ماذا يطلب الاعمى قال: جوز (٢ عيون = عيني فيه وتغوه (٣ عايه = هذه عينك ولا استعرتها

كثير الغلبة

اللي بيسأل عمّا لا يعنيه بيسمع ما لا يرضيه = الذي بيسمع ما لا يطيق بيتكلم ما لا يليق (٤ = من أحب ان يُطاع فلا يأمر بما لا يُستطاع (٥ = الحية أبا بتتزرك (٦ بتمض ذنبها = كثرة الشدّ بترخي = الحبل بين مجنونين بينقطع = الذي ما بيجي معك تعال معه = راسك ما هو معك طوطحه (٧ = الذي ما بيستحي استحي انت عنه = الذي ما هو في ايدك بيكيدك = اليد التي ما بتقدر تعضها بوسها = لا تنام بين القبور ولا تشوف منامات (ويقال ولا تشم ريحة الجيّة) = ابعد عن الشرّ وغنّ له = العب وحدك ولا تغلط = لا تقاوم من قال فمل = بيقول يا ارض اشتدّي ما حدا قدّي (٨ = لا تعادي البطّال بيملك شغله = كل العداوات الّا عداوة البطن = كل العداوات لا تشغل بها ظنك الّا من عاداك في فنّك = الف عدوّ برّا الدار ولا عدوّ جوّا الباب = العدوّ ما بيصير صاحب = الأسى ما بينسى = من عاش بعد عدوّه ولو ساعة بلغ مناه = لا بد ما تفرح الحزينة ولتو (ولو) بعزا (٩ جارتها = عدوّتي مغسلتي واميها

---

١) ومعناهُ قول عامتنا اليوم (من دنبه خنافه). والخنافس المنوّعة وتولهم (من دهنه سقي له)
٢) تستعمل العامة كلمة جوز بمعنى (زوج)
٣) محرّف كلمة تُفّ تقال عندهم عدم الاستحسان
٤) وروايته عند عامتنا الآن هي (حمّل النفس شي ما تطيق بيظهر منها شي ما يليق)
٥) وهو من المثل المشهور: اذا اردت ان تُطاع فسل ما يستطاع)
٦) بتتزرك اي (لا تضايق) ٧) طوطحهُ بمعنى نكّسهُ
٨) حدا مقلوب أحد. وقدّي بمعنى قدري ومثلي ونحوهما
٩) النزا عند العامة والحلّ بمعنى الأم اي الاجتماع لندب الميت

الصبّابة = وعد بلا وفا عداوة بلا سبب = اوعدتني وابعدتني = وعد الكريم عليه دين = ما فيه عرس بلا قرص (١ = يا ملائكة الله لا تآذونا ولا بتآذيكم = باحس مسني وبنام متهني (٢ = جا الدبور (٣ يلحس المسنّ = مجديد كرفس (٤ ولا اهينك يا نفس = فلّاح مكفي (٥ سلطان مخفي = امّا بسراجين وشمه واما على العتمة جمعة (٦ = من ترك شي عاش بلاه = قلة الرزق نياحة = الشبعان بيفتّ للجيعان فتّا بطي = لا مال يأخذهُ السلطان ولا عقل يأخذه الشيطان = الذي ما لهُ شي ما بيروح لهُ شي

البخل

البخيل ياكل من كيسه والخيّر (الكريم) ياكل من كيس غيره = البخيل بيطعم من بخله الّا كبير البطن = الرزق الخسيس لابليس = قطمة الخاناتي (يقال مصريّة الخاناتي) بتضيّع حمار المكاري (٧ = الطمع ضرّ ما نفع = كل قليل الحصّة (اي الكسلان) فيلسوف (او قاض) = اروِ عذوك ولا تروِ بخلك (٨ = اصرف ما في الجيب يجيك ما في النيب = يا طالبه كله يا خاسره كله = يا مسترخص اللحم عند المرقه تندم = طالب الورد وقع بالشوك = احيِ مالك بالك = الذي بتجمعه بالمكاش بتروحه بالرفش (٩ = كسبناهُ بالدبس خسرناهُ بالطحينة (١٠ = الذي بيحسب مونة القطة بتاكل النار دينيه (اذنيه) = ايما اقل عقل الذي زرع السطح ام الذي

---

١) اي لا يصير فرح بدون كدر

٢) اي أقنع بما عندي فاضياً . والمسنّ حجر الشحذ المعروف

٣) الدبور محرّف الزنبور

٤) المجديد قطعة من النقود كل قسمة منها تساوي بارة . والكرفس نبات معروف

٥) اي فلّاح شبعان

٦) العتمة بمعنى الظلمة وجمعة عند العامة بمعنى اسبوع

٧) ويروى عند عامتنا (مصريّة الخان روّحت بغل المكاري)

٨) إروي عند العامة بمعنى اكرم من رأى

٩) المكاش المحول . والرفش المجرفة

١٠) الطحينة سائل خاثر يؤخذ من عصير السمسم ونحوه للطبخ

حط البذار (١ = واحد من حيله وآخر من خيره = واحد بكتنه وواحد بالله = كبر المخافس (٢ قطع نصيب = بتشوف قبّة بتخمّن مزار (٣ = الدنيا مع الواقف ولو كان بقل (لها بقيّة)

سياحة في سويسرة

لشاب الاديب جرجي بن يوسف اليان سركيس احد طلبة الهندسة في كلية لوزان

ودّعنا سلمتا المدرسيّة ودخلنا في أيام العطلة الصيفيّة فحان لنا ان نأخذ بعد اتعابنا نصيباً من الراحة. وكانت افكاري موجّهة الى شقيقي انطوان وهو في تونس الغرب انتظر منهُ رقيماً يدعوني بهِ اليهِ لتقضي معاً هذه اشهر الراحة. وانا غائص في هذه الافكار اذ اتاني في ليلة ١١ آب نبأ برقي يفيدني انَّ اخي وصل مرسيلية وسيكون عندي بعد يومين. فحدّث عن فرحي بقدوم الحبيب ولا حرج اذ ليس اشهى على قلب المرء في غربتهِ من اجتماع شملهِ مع اهل تربتهِ. فصرفت واخي يوماً عددتهُ من اطيب أيام حياتي. ثم اتفقنا على ان نتجوّل في انحاء سويسرة فنشبع ابصارنا بمشاهدها الفتّانة وآثارها الخطيرة التي تتقاطر السيّاح الى معاينتها في هذا الفصل من السنة وباشرنا بمدينة لوزانَ التي كنت احسن معرفةً بها فاردتُ ان اعرض محاسنها على اخي فأصبح لهُ فيها دليلاً وهي تستحقُّ شرف التقدّم

لوزانة حاضرة احدى مقاطعات سويسرة وهي مقاطعة ڤود (Vaud) المعدودة من اجمل وابهى ايالات سويسرة بل من كل بلاد اوربّة فانَّ موقعها على منعطف حوض بحيرة التوسط بين مقاطعتي نيوشاتل وجنيفة تُشرف عليها شرقاً جبال الالب وغرباً ضواحيها قمم جبال جُورا وفي جنوبها وادٍ عجيب كثير الاشجار غزير المياه تتوفّر بهِ المناظر طبيعيّة الخلابة للابصار. اما حاضرة هذه العاملة لوزانة فانّها احدى كبار

(١ لعلها (ام الذي استلفهُ)

(٢ مخافس بمعنى كبير النفس

(٣ لعلها (بيجوز قبّة وبيعمّر مزار)

مدن سويسرة على ضفّة بحيرة جنيفة التي تدعى ايضاً بحيرة ليمان تحدق بها الدساكر والجواسق والرياض والخمائل والكروم وتختلف فيها الحزون والبطون وتجري فيها جداول المياه واليها تتوارد السيّاح زرافات زرافات في اشهر الربيع والصيف يعدونها كجنّة الاقطار الاوربيّة. وبيوت الدينة على عدّة آكام وربى تمرّ بينها ثلاثة شوارع كبيرة لا يقطعها السابلة الّا بطاوع او تزول دائمين واهلها اليوم نيّف وخمسون الفاً واللغة الغالبة عليهم هي الفرنسويّة الّا انّ كثرة الاجانب المتردّدين اليها وتوسّطها في البلاد تخطرهم الى درس اللغات الشائعة في اوربّة كالالمانيّة والانكليزيّة والايطاليّة وفي لوزانّة كليّة شهيرة عظيمة الشان يبلغ عدد الطلبة المتأبين لحضور دروسها ١٣٠٠ طالب يتبلرن اليها من كل أوب وصوب ليدرسوا فيها خصوصاً الطبّ والفقه والهندسة ولاساتذتها سمعة مستفيضة في انحاء اوربّة

وكان اول ما زرناهُ ابنية تلك الكليّة وهي مشيّدة على احدى اكمات المدينة فقصدناها ماريّن على جسر بُني بين جبلين. والكليّة عبارة عن بناء فخيم في واجهته مدخل يرتقى اليه بهندسته فرقينا درجهُ ووصلنا الى قاعتين كبيرتين يلقي فيهما الاساتذة دروسهم تسع كل منها ٣٠٠ تلميذ. وخرجنا منهما الى باحة فسيحة تزينها اجناس الزهور على هندام جميل وفي وسط الحديقة بركة تترقرق مياهها في صفاء الدمعة. ويحيط بالباحة قناطر تمتد الى عواميد من الرخام السقاني مسقوفة بالزجاج لا يتمالك الداخل من العجب بحسنها. وعن شمال القناطر دار التحف فيها مجاميع من الرسوم والنقوش والتصاوير لابرع الصنعة واشهر المصوّرين تمتاز بينها مناظر الطبيعة كالجبال والغابات والمواشي الراعية تحسبها حيّة لدقّة صنعها. وهناك التماثيل في كل هيئاتها منظومة بذوق وحذق منها بالرخام ومنها بالجصّ او بالمواد المعدنيّة. ومن عن يمين القناطر خزانة كتب عامرة لا يقلّ عددها عن ٢٢٠,٠٠٠. وفي هذه الكليّة متاحف اخرى للنبات والحيوان وعالم طبقات الارض لكنّ العلة كانوا يشتغلون في تنظيمها فلم نستطع ان نزورها

وفوق هذه الكليّة على ذروة الاكمة الكنيسة الكاتدرائية التي ابتناها الكاثوليك في سالف الاعصار وضبطها البروتستانت وهي اليوم في ايديهم وهذه الكنيسة من الابنية الجليلة لها قبّة جرس يُرقى الى اعلاها بنحو ٢٥٠ مرقاة وهناك سطحٌ علوّهُ ٦٠

متراً صعدنا فوقهُ فسرَّحنا النظر على كل اطراف المدينة فلاحت لنا كلّ ابنيتها وآثارها وكل تقاسيمها بل كنَّا ننظر بساتين المدينة . ومزارعها مع بحيرة ليمان الرائقة الحسن التي ترتسم في مياهها صور الآكام المجاورة كأنها المرآة الصقيلة . وكذلك كان نظرنا يرتفع الى عنان السماء فيشاهد تقاطيع جبل جورا والقرى التي تستند الى مماطفه . وفي داخل هذه الكنيسة ضرائح اساقفة المدينة الاقدمين من الكاثوليك فتذكَّرنا ما كان لهم من الايادي البيض والمشروعات الصالحة التي لم يزل التاريخ مدوِّناً لها

ثم انحدرنا من سفح المدينة لنزور مجلسها البلدي ولم يَدُر على خلدنا انَّ معاهدهُ ستغلق في ايام العطلة فاكتفينا بان نجول في الحديقة العمومية التي امام تلك البناية ونعاين تمثالاً رائعاً للبطل السويسري غليوم تل نُصب فوق دار الحكومة

وبعد الغداء سرنا الى اوشي (Ochy) وهي على ساحل البحيرة يعتبرها اهل لوزانة كضاحية مدينتهم وكانت سابقاً بعيدة عنها لكنَّ المدينة لم تزل تتَّسع حتى كادت تتَّصل ابنيتها . ولرسى اوشي رصيف عريض طولهُ ٣٠٠ متر تحيط به عن طرفيه الجنائن والاشجار وقد أُعدَّت هناك مقاعد يجلس عليها المتنزِّهون بازاء البحيرة تمتدُّ ابصارهم الى تحوم فرنسة ومدينة ايان فيقضون الساعات والعيون لا تملُّ من مراقبة الطبيعة ومشاهدها الساحرة

وكان على ساحل البحيرة سفينة حان وقت سيرها وقد ركبها الناس افواجاً مزدحمة وقصدهم ترويح البال في قرية وَارَي (Vevey) . فما لبث الرُّبان ان آذن بالرحيل فحللنا اجنحة البخار وسرنا موازين لساحل البحيرة والعيون شاخصة الى ما هناك من اعمال الخالق . واجتزنا عدَّة قرى حتى بلغنا بعد ساعة الى وَارَي حيث تتسع البحيرة فيبلغ عرضها ١٣ كيلو متراً

فنزلنا في تلك البلدة ليس لنشاهد آثارها وهي خاوية منها لكن لنترقَّل من هناك في جبل عالٍ يقصدهُ السيَّاح من اقاصي البلاد ويدعونهُ جبل بارين او جبل الحاج علوُّهُ ٨٥٠ متراً فوق لوزانة يعاينون في قمَّته منظراً فريداً في جنسهِ جامعاً لمحاسن طبيعيَّة شتى فلما يرونها مجتمعةً في مكان واحد . والرقيّ اليهِ شديد عسرٌ وكان السيَّاح لاسيَّما الانكليز منهم يتناخرون في صعودهِ لما يخفّ بالراقي من المخاطر امَّا اليوم فقد جُهِّزت لهُ سكَّة حديديَّة تعرف بالسكَّة السلسليَّة (funiculaire) تجري صعوداً وهبوطاً بموازنة الاثقال فتقطع المسافة بين سفح الجبل وقمَّته في ٢٦ دقيقة . ويا ليت اللبنانيين يتَّخذون

سككاً مثلها في بعض انحاء جبالهم وخصوصاً من جونية الى حريصا او غسطا فيوقفون على تفرسهم زمناً طويلاً وتنقات باهظة ويصبح لبنان موردًا للثروة قريباً من المصطافين ينزلون من الجبل الى بيروت او يصعدون منها الى الجبل بساعة واحدة دون عناء

فبعد برهة من الزمان دخلنا قطار السكّة واذا بجرس كهربائي اخذ يدقّ اشارةً الى اوان السفر . فجعل القطار يصعد رويدًا رويدًا مرتفعاً على منعطف تلك الجبال العالية ونحن ننظر من نوافذ الزجاج الروسي البديعة التي زانت بها يدُ الخالق تلك الاصقاع . وكانت تلك المناظر تزيد حسناً وغرابة على قدر ارتفاعنا وتشغلنا عن التفكير في ميل السكّة وسيرها على منعطف الجبال فلو قطعت سلاسلها لأودت بحياتنا لا محالة فمرَّ علينا ثلث ساعة ونحن لا نزال نتوغّل في تلك المشارف وكنّا نشعر ببرد الجبال الصافي الذي ينعش قوانا ويلطّف حرارة صيفنا حتى وقفت السكّة عند حدّها

فنزلنا في المحطّة ثم واصلنا السير ماشين فتقينا هناك من الغابات والاودية وجداول المياه ما كان يضنينا اجل مناظر لبنان . وكان الثلج لا يزال كاسياً بثوبه البرّاق أكمامًا عديدة فتجوّلنا فيها وقضينا العجب من محاسنها . واهل لوزانّة قد زادوا على رونق الطبيعة . وجهّزوا تلك الاماكنة بما يشوّق السيّاح الى رؤيتها فمهّدوا الطرق ومدّوا الجسور والمابر وابتنوا بعض المنازل لفصل الصيف فيجد فيها المسافرون ما يحتاجون من المشروبات وخلاصة الكلام انّ تلك الانجاد الجديرة بما يثني عليها السيّاح من الاوصاف الشائقة فلا تخرج من ذكرنا طالما حيينا . ورجعنا في مساء ذلك النهار الى لوزانّة منحدرين بقطارنا السابق ذكرهُ وكانت الشمس عند عودتنا على ظهر السفينة تضرب باشعّتها قبل غروبها قمم جبال الالب فتصبغها بالوانها القرمزيّة ثم الورديّة ثم الصفراء ما كان يأخذ بمجامع القلوب ويدهش لهُ كل الابصار

وكان اليوم التالي واقعاً في ١٥ آب وهو يوم عيد انتقال العذراء الى السماء فقضيناهُ بالمدينة واكتفينا باتمام فرائضنا الدينية في كنيسة قريبة من منزلنا . وقد سُرَّ اخي من عبادة السويسريين الكاثوليك الذين يُعرفون بشدّة اعتصامهم بحبل الدين وقد جاهدوا في سبيل ايمانهم جهادًا مشكورًا حتى اضطرّوا الحكومة الى ان تمنحهم الحريّة التامّة وترعى حقوقهم بعد ان هضمتها زمناً طويلاً

وكان ذلك اليوم يوم السبت وفيهِ تُقام سوقٌ حافلة يتوارد اليها الاهلون من كلّ

القرى والمزارع المجاورة . وهناك ساحة كبيرة تراها في ذلك اليوم غاصّة بالباعة يعرضون فيها كل غلّات البلاد ومحصولاتها ومواشيها لكلّ صنف منها مقام مألوف يقصده الالوف من الزبائن

وفي صباح الاحد في ١٦ آب نهضنا من النوم باكرًا وتأهبنا لسفر اسبوعين نقضيها في السياحة . وكنّا قطعنا لنا تذاكر تخوّل لنا حقوق التجوال حيثما شئنا في انحاء سويسرة في سككها الحديديّة وسائر سفنها وذلك بثمن بخس لا يتجاوز قدره ٤٠ فرنكاً فركبنا الباخرة في ارشي فأقلّتنا بنحو ساعة الى اڤيان (Evian) وهي مدينة فرنسويّة واقعة على حدود البلادين . واڤيان مدينة شهيرة بحمّاماتها المعدنيّة يقصدها كثير من ذوي العاهات لاسيما ارباب الثروة ووجوه القوم

وكان وصولنا الى اڤيان الساعة التاسعة والاجراس تقرع فتدعو المؤمنين لحضور القدّاس فكنّا من المجيبين لدعوتها فدخلنا الكنيسة حيث كان احتشد الناس من كل رتبة ومقام فغصّت بهم الكنيسة مع رحبها حتى تعسّر علينا وجود مكان لنا . امّا المدينة فكثيرة الفنادق حسنة الابنية لكنّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر

وبعد الظهر عدنا فركبنا السفينة وسرنا موازين للاملاك الفرنسويّة حتى بلغنا قرية مونرو (Montreux) وهي بلدة صغيرة تشبه اڤيان بمنازلها الكبيرة ويكثر فيها في الشتاء وقع الثلج ويتّخذون فيه الاحواض الجليديّة فيزلجون عليها بالمزالج الحديديّة (patins) ويقصدها القوم لهذه الغاية

ثم توجّهنا يوم الاثنين الى مدينة فريبورغ وهي على مسافة ساعة ونصف بالقطار الحديديّ . وفريبورغ هذه احدى حواضر سويسرة وبها دُعيت احدى مقاطعات ذلك القطر والكاثوليك يعتبرونها كعاصمة ديانتهم في سويسرة . فبلغناها في ضحى النهار . وعند نزولنا من القطار رأينا اسقف المدينة منحدرًا منهُ يصحبهُ احد كهنته وسار كلاهما ماشيًا الى الدار الاسقفيّة فتعجبنا من بساطة ذلك الحبر وحياده عن كل فخفخة وجاه عالميّ

فريبورغ تُقسم الى قسمين المدينة العليا والمدينة السفلى فقصدنا هذه الاخيرة وتجوّلنا في احيائها وزرنا متنزهاتها وفي وسطها يتخلّل نهر يُدعى سارين (Sarine) على حافتيه الاشجار والحدائق . امّا المدينة العليا فرقيها فوق ربوة مرتفعة وكل الطرق التي

تؤدي اليها كثيرة الانحدار يُصعد اليها بالمراقي العديدة ومن فوقها يكشف الناظر على بلاد واسعة كثيرة المحاسن الطبيعيَّة

ومن عجائب فريبورغ كنيستها الكاتدرائيَّة التي تُعَدّ من الآثار الهندسيَّة الفخيمة يُوقَّى عهدها الى القرن الثاني عشر ومن خواصها ارغنها الشهير الممدود بين تُحف الآلات الصناعيَّة. انشأهُ لويس موزو سنة ١٨٣٩ وكان اكبر ارغن يُعرف في العالم حتى اصطنع اليوميُّون ارغنهم في كنيسة سان فرنسيسكو فناق عليه الَّا انَّ الزلازل التي حدثت في تلك المدينة اتلفت ارغنها فعاد للارغن السويسري مقامه الاوَّل وقد تبلغ ابواقهُ ٧٨٠٠ بوق وكل محبّي الادوات الموسيقيَّة اذا مرُّوا بفريبورغ عدُّوا زيارتهُ كفرض واجب وفي الكنيسة موسيقي حاذق يدقُّ للزوَّار اذا بلغ عددهم ستَّة ودفع لهُ كل زائر فرنكًا أجرة تعبه. وكنَّا نحن يومئذٍ ٣٠٠ زائر وشنَّف آذاننا بانغام هذه الآلة العجيبة التي تمثل كل اصوات الطبيعة احسن تمثيل وتهيّج كل العواطف في قلوب سامعيها فكنَّا نظنّ عند سماع نغماته تارةً انَّ اجواقًا من الموسيقيين يعزفون على ضروب من آلات الطرب في اقاصي المدينة وتارةً انَّ الرعود تدوي فوق رؤوسنا فترتجّ لها اطراف الكنيسة. وكان آخر ما اسمعنا صوتًا رخيمًا للغاية فحسبنا انهُ صوتٌ بشريّ لاحدى السيدات تنشد نشيدًا دينيًّا طربت لهُ كل مشاعرنا. فخرجنا من تلك الكنيسة وكلُّنا ألسنة تنطق في مدح مفاخرها

وفريبورغ كما سبق مركز الكثلكة في سويسرة اشتهر فيها كثيرون من مشاهير الافاضل. وفي احدى كنائسها قبر رسولها الطوباويّ كانيسيوس اليسوعي الذي في القسم الثاني من القرن السادس عشر شرُف باعمالهِ وتآليفهِ وفضائلهِ السامية بلاد المانية والنمسة وسويسرة وتصدَّى للبراطقة في تلك البلاد فاستحقَّ ان يدعى رسولها. وكانت وفاتهُ في فريبورغ فاتَّخذهُ اهلها كشفيعهم. ولما كانت السنة ١٨٩٧ وهي المئة الثالثة لموتهِ حجَّت الى قبرهِ الألوف المؤلفة من نواحي اوربَّة حتى اناف عددهم على ٣٠٠,٠٠٠ وعُقدت حفلات عظيمة اطرأ فيها الكاثوليك محامد شفيعهم وعدَّدوا اعمالهُ الجبَّاريَّة في خدمة بلادهم وتنشَّطوا على مثالهِ لكل الاعمال الخيريَّة في سبيل الدين

ثم طفنا البلدة متنقلين من اسفلها الى اعلاها ومررنا على جسريها العجيبين وهما من اعمال الصناعة الناخرة الدالَّة على ذكاء مهندسها. والجسر الواحد طولهُ ٢٣٠ مترًا في

عرض ٦٠ وهو ممدود فوق وادي سارين وموثق بثلاث سلاسل ضخمة وكنا نشعر ونحن نقطعهُ بارتجاجهِ واهتزازهِ الّا انهُ غاية في المكانة. امّا الجسر الثاني فقد اصطنعهُ الفرنسويون سنة ١٨٦٠ واصلحوهُ سنة ١٨٧٤ وهو اقصر من السابق لكنهُ اعلى منهُ فانهُ يرتفع فوق الوادي على علوّ ٧٤ مترًا فيرى المجتاز عليهِ المُشاة في الوادي صغارًا جدًّا ويشاهد كل مدينة فريبورغ مع بعض اسوارها القديمة المحيطة بها

وفي فريبورغ دار تُحف تشتمل على عاديّات ثمينة عزيزة الوجود فتقدّمناها بشوق وكان الدليل يرافقنا ويشرح لنا ما تحتويهِ كل قاعة من النوادر. واغنى ما في هذه الدار عاديّاتها السابقة لعهد التاريخ من طور الظرّان اذ كان الانسان لم يتّخذ بعد الحديد والمعادن فيصطنع اثاثهُ واسلحتهُ من الصوّان والعظام وغيرهما وكذلك المستحجرات من النبات والاصداف فانها كثيرة مختلفة الاجناس غريبة الهيئات. هذا فضلًا عن هياكل حيوانيّة لبهائم قد فقد اليوم جنسها ووُجدت عظامها فركّبت على صورها القديمة على ادقّ منوال

وفي اصيل النهار ودّعنا فريبورغ وركبنا القطار متوجهين الى عاصمة كل المقاطعات السويسرية اعني برن ولا تبعد بالسكة الحديدية عن فريبورغ سوى نصف الساعة وفيها تقيم الهيئة الحاكمة وعمدة الجمهوريّة السويسريّة ورجال دولتها ورئيسها السير مولار. امّا عدد سكّانها فلا يزيدون عن ٦٧,٠٠٠ نفس

وجدنا برن مدينةً واسعة الشوارع غاية في النظافة وكنّا اذا خطونا بعض الخطوات وجدنا سُبل الماء يعارها التماثيل والمنحوتات الجميلة. وبرن كفريبورغ مبنيّة على آكام مرتفعة تمتدّ بينها الجسور لكنّ جسورها ليست معلّقة بالسلاسل ولها نهرٌ يمرُّ بها اسمهُ آر (Aar) يتكوّن منهُ في مسيرهِ بُحيرتان جميلتا المنظر بُحيرة بريَنز (Brienz) وتول (Thul) وفي وسط المدينة ساحة واسعة يزدحم فيها الناس لاسيما في ساعات الفراغ فيسرّحون انظارهم على مجرى النهر الذي ينصبّ قريبًا منهم بمياههِ الزاخرة على هيئة مهيبة وتعلو فوق رؤوسهم جبال الالب الشاهقة المدعوّة باسم بلدهم الالب البرنيّة (Alpes Bernoises). وبازاء هذه الساحة ايضًا دار الحكومة وهي فخيمة فاخرة على ابوابها شعار بلاد سويسرة وشارات مقاطعاتها كلها بالقسيفساء. والحجارة الملوّنة

ويلي دار الحكومة شوارع يؤدي الى احواض وبرك عديدة فاجتزنا بهِ وسرنا الى

خارج المدينة حيث رأينا صيرًا واسعًا تُربّى فيه الأدباب الحيَّة ولها خدَمٌ يقومون بحاجاتها. امَّا اعتناء البرنيّين بالدببة فلانَّ شعار مدينتهم هو الدبّ وكانوا في القرون السالفة يصطادونها في جبالهم بين الثلوج الغرّاء التي تعلو فوق اطوادهم ويتخذون بلحمها. واليوم ترى صورة الدبّ مرسومة على ابوابهم وعلى قبعاتهم وملابسهم وعلى ازياء حكومتهم. ولتلك الادباب الحيَّة حُفرٌ تُقيم فيها وحولها درابزينات من حديد يتزاحم عليها الناس ليشاهدوا تلك الضواري وهم يلقون لها المأكولات فتثب عليها وتتلقّفها بحركات مضحكة

وبتنا تلك الليلة في برن ولمّا كان رأد الضحى في اليوم التالي ركبنا السكة قاصدين السفر الى ثون (Thun) وكان ذلك اليوم سوقًا لاهل برن تقاطر اليها القرويّون من كل فجّ ليبيعوا محصولاتهم ويبتاعوا بدلًا منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش. وبعد ساعتين وصلنا الى محطّة شرزليزن ونزلنا الباخرة التي سيرت بنا في بحيرة ثون وهي بحيرة صقيلة المياه كالبلّور تكتنفها الاعشاب والاشجار والخضر فتنعكس صورها في المياه. وامامها التلال والجبال التي منها ما تكسوه الثلوج المخلّدة بثلجها البيضاء. وكنّا نمرّ من حين الى آخر بازاء شلّالات تتساقط مياهها من اعالي الجبال فتتطاير من حولها كالضجّة الكبيرة وترسم كل الوان قوس قزح وهي من ابهى مشاهد الطبيعة. ثم عدنا بعد ذلك الى السكة الحديدية حتى وصلنا الى بحيرة برينتز وهي كبحيرة ثون في مناظرها البديعة. وليس في سويسرة ابدع من هاتين البحيرتين ومن بحيرة لوسرن وفي فصل الصيف ترى السيّاح يتناوبون في زيارتها جماعات جماعات لا يكاد يخلو منهم يوم واحد

وفي بحيرة برينتز هذه تصبّ شلّالة شهيرة وهي شلالة گيزباخ وهناك قرية تدعى بهذا الاسم ومياهها تتدفّق في بحيرة من علو ٣٠٠ متر وقد متّعنا بمنظرها الابصار ونحن على ظهر السفينة والشمس تضرب عليها اشعّتها الذهبيّة. امّا في ظلام الليل فقد جهّز لها الاهلون اجهزةً كهربائيّة اذا اوقدوها صبغت المياه بالوان زاهية لا يفي بحسنها وصف والغرباء في رحلهم يطنبون في جمالها

ونزلنا في قرية برينتز فنقلتنا سكّة حديديّة ضيّقة الاسلاك مسنّنة كسكّة لبنان فمررنا بين جبال واودية عميقة ونحن نسمع خرير المياه من كل جانب والانهار والجداول تخترق تلك الامكنة فتارةً نطرب لرقرقتها وحينًا تصبّ مزبدةً وصوتها كصوت الرعد

تتحدَّر من رؤوس الجبال. وهـذا المضيق تتناوب فيه المشاهد البهيَّة نرى على مدى البصر مناظر تسحر اللبَّ وتحيك في القلب وكان القطار يسير الهوينا فيسمح لنا بمعاينة تلك الرؤى الفتَّانة منها عدَّة بحيرات صغيرة وغابات وخمائل ومناجع القطعان فما كان لساننا يفتأ عن الشكر للخالق الذي نعَّمنا بهذه المحاسن

وكان وصولنا الى لوسرن (Lucerne) الساعة ٧ ونصف مساء يوم الثلثاء وهي حاضرة مقاطعة تدعى بها وموقعها على نهر روس (Reuss) الذي يقسمها الى قسمين يجمع بينهما جسران عظيمان. والنهر يخرج هنالك من البحيرة بجلبة شديدة فيتحدَّر منها وينصبّ في نهر آر. اما البحيرة فتدعى ايضاً بحيرة لوسرن او بحيرة المقاطعات الاربع وهي مستطيلة تدخل مياهها في الاراضي والصخور فتتكوَّن منها الخلجان والرؤوس الصخريَّة بهيئات غريبة. وضواحي المدينة كثيرة الخصب جيِّدة التربة تتوفَّر فيها المراعي والبساتين والكروم

اما المدينة فمتوسِّطة الكبر واهلها لا يتجاوزون ٣٧٠٠٠ نفس لكنها انزه واجمل مدينة في كل مقاطعات سويسرة ليس فقط لحسن موقعها ووفرة مشاهدها الطبيعيَّة لكن ايضاً لمنازلها الفخيمة وبناياتها اللطيفة ولزخرف اهاليها في الملابس والازياء المختلفة وفي مساء كل يوم تتألف فئات من المغنين فيقاشدون الاغاني الوطنيَّة ويعزفون بالآلات الموسيقيَّة الى اواسط الليل

وتجوَّلنا في شوارع المدينة فرأينا فيها الناس كأنهم في يوم عيد تظهر في ملابسهم وحركاتهم امارات الفرح والنشاط. واكثرهم يسيرون الى الشارع المجاور للبحيرة فتبعناهم واذا هناك فسحة واسعة على جانبيها اشجار الكستنا الوارفة الافنان تتلألأ تلك الباحة وبين الشجر جوقات الموسيقيين يعزفون بآلات الطرب. ومن تلك الساحة كنَّا نرى الجبال التي تحفّ بالمدينة اخصها جبل يدعونه جبل بيلاطوس كثير الصخور صعب المرتقى يصعدون اليه بسكة حديديَّة سلسليَّة وعلى قمَّة الجبل مسارج للانوار يوقدونها اذا خيَّم الظلام على الارض وتتألَّق ضياؤها مشعَّةً فترى عن بعد. وكانت القوارب البخاريَّة والسفن الصغيرة تتنقَّل بين الشواطئ وفيها الانوار الملوَّنة لكلّ سفينة نورها لتمتاز به عن اختها. وكان مبيتنا تلك الليلة في منزل احد الاهلين في حجرة من طابقه الرابع اذ تعسَّر علينا وجود مكان فارغ في فنادق المدينة لكثرة الاجانب فيها

هيئا صباح الاربعاء من الفراش لنتجوّل في انحاء المدينة لئلّا يفوتنا شيء من طُرَفها قبل فراقها. فممّا يستحقّ الذكر بعد مشاهدها الطبيعيّة صورة تمثال عظيم نُحت في الصخر يمثّل اسدًا ضخمًا نفذ فيه رمحُ صيّادٍ فصرعهُ وكاد يصرم حبل حياته على انّ الاسد يجاهد بما بقي فيه من القوّة ويتلوّى ويزأر فيتأثّر الناظر لشدّة سطوته وهول نظره وانحلال قواهُ بفقد دمه. وامام الاسد شمار ماوك فرنسة زهرة السوسن دلالةً على سقوط آل بربون في سويسرة. وثم المرموز عنهم بهذا الاسد الهائل الذي طولهُ سبعة امتار وهو قائم في وسط كهف فسيح. وحول هذا التمثال مقاعد يجلس عليها الناس ليتأمّلوا دمية الحيوان (التتمة لعدد آخر)

قصة القديس ديونيسيوس الاريوباغي

ورسالتهُ الى ابولوفانيس

للاب بولس بقرس اليسوعي من جماعة البولنديين

يعرف القرّاء ما رواهُ كتاب اعمال الرسل (١٧: ١٦—٣٤) عن بشارة القديس بولس الرسول في اثينا وتنصّر ديونيسيوس الاريوباغي على يده مع امرأة تُدعى داميريس وآخرين معها. فهذا غاية ما افادنا التاريخ الصحيح عن ذلك الرجل الشهير الذي كان يعتبرهُ قدماء الكتبة اليونان كاوّل اسقف لاثينا

على انّ الدارسين لم يكتفوا بهذه الرواية بل اصطنعوا باسمه عدّة تآليف اعلنوا بها لاوّل مرّة في المجمع الذي عقدهُ يوحنّا ملك في القسطنطينيّة سنة ٥٣١ وقبل ٥٣٣ لاقناع اهل بدعة الطبيعة الواحدة من اشياع ساويروس الانطاكيّ. فاستشهد المبتدعون لتأييد ضلالهم باقوال نسبوها لديونيسيوس الاريوباغي. فللحال تصدّى لهم الآباء الكاثوليك وفي مقدّمتهم لاونسيوس البوزنطيّ وانكروا صحّة تلك الشواهد المزوّرة. لكنّ انصار البدعة المنوفيسيّة لم يكترثوا لاحتجاج الكاثوليك واخذوا في توفير نسخها فانتشرت تلك التآليف المصنوعة في جهات شتّى على يدهم والمرجّح اليوم انّهم هم الذين ألّفوها. ثم نقلها الى السريانيّة اليعقوبي سرجيوس الراسعيني المتوفى سنة ٥٣٦

فزادت شهرتها واتسعت حتى خُدع بها الكاثوليك انفسهم واقبلوا على درسها ونسبوا ما فيها من الاقوال الشاذة لتدليس المبتدعين لكنّ جوهرها اثبتوهُ للقديس ديونيسيوس. ومنهم القديس مكسيموس الشهيد الذي شرح تلك التآليف. اما اليوم فانّ اهل الانتقاد اتفقوا على انها مصنوعة لاسيما الاب يوسف ستغلماير (J. Stiglmayr) اليسوعي الذي اثبت بالحجج الواهنة والبينات الواضحة انّ تلك الاعمال وهي عبارة عن مقالات ورسائل لاهوتية انما وُضعت في اوائل القرن السادس ونُسبت زوراً الى القديس ديونيسيوس الاريوباغي المذكور في سفر اعمال الرسل. والكتبة لم يتفقوا حتى الآن في تحديد هذه التآليف وعددها وبعرضها الاصلية التي وضعها المدلسون

وفي جملة تلك الرسائل المصنوعة الرسالة السابعة التي يقال انّ ديونيسيوس وجهها الى القديس بوليكربوس اسقف ازمير (١ وفيها يذكرهُ بما جرى من الظواهر عند موت المسيح وكيف لحظ كلاهما اذ كانا في هليوبوليس انكساف الشمس بتوسط القمر بينها وبين الارض وذلك على طريقة مخالفة لنواميس الطبيعة المألوفة وفي غير وقت القران ويحضّ ديونيسيوسُ القديسَ بوليكربوس على ان يستند الى هذه المعجزة الباهرة ليفحم ابولوفانيس الفيلسوف الوثني وغيرهُ من المشركين الناكرين لحقيقة النصرانية

هذا ما رُوي في مجموع اعمال القديس ديونيسيوس السابقة للقرن التاسع. وفي اوائل هذا القرن ظهر في باريس راهب اسمهُ هيلدوين (Hilduin) أقيم رئيساً على دير القديس ديونيسيوس في ضواحي عاصمة فرنسة فزعم انّ ديرهُ يُنسب للقديس ديونيسيوس الاريوباغيّ وانّ تلميذ بولس الرسول قدم باريس وبشّر فيها الايمان ومات شهيداً بقطع رأسه. وخلط بين ديونيسيوس المذكور وديونيسيوس آخر كان يكرمهُ اهل باريس منذ زمن قديم استشهد مع رفيقيه القديسين الوتاريوس وروستيقيوس. ثمّ جعل الراهب هيلدوين يدرس الاعمال اليونانية المنسوبة لديونيسيوس الاريوباغي ويدافع عن صحتها وينقلها الى اللاتينية تعظيماً لشأن ديره. فشاعت على هذه الطريقة في اوربّة اعمال القديس ديونيسيوس المزعومة كما انتشرت رواية استشهاد الاريوباغيّ في باريس. واعجب من ذلك انّ اليونان

(١ اطلب اعمال آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. III, 1077-1083)

الذين كانوا قبل ذلك يجعلون ديونيسيوس كاول اساقفة اثينة ويرون وفاتهُ فيها ابدلوا تقليدهم الصحيح برواية هلدوين الكاذبة واشاعوا هذه القصَّة في كتاباتهم واخصُّهم ميتافرست صاحب تراجم القديسين في القرن العاشر

ومن الاقاصيص الغريَّة التي اثبتها هلدوين في مروياتهِ عن القديس ديونيسيوس الاريوپاغي رسالةٌ عنوانها « من ديونيسيوس الاريوپاغي الى ابولوفانيس الفيلسوف » (Migne, PP. GG., III, 1119) بعد تنصُّره يذكرهُ بعدَّة اشياء من جملتها كسوف الشمس الذي رآهُ كلاهما اذ كانا في هيليوپوليس ولديونيسيوس من العمر وقتئذٍ نحو ٢٥ سنة . فهذه الرسالة باللغة اللاتينيَّة رواها هلدوين ولم يعرف اصحاب النقد من اين نقلها . واليوم قد تعدَّدت الدلائل على انَّ هلدوين هو نفسهُ اختلق هذه الرسالة لكنهُ اخذ معانيها من رواية يونانيَّة اشاعها بعض المدلسين على لسان ديونيسيوس الاريوپاغي يذكر فيها قصَّتهُ واخبار تنصُّره . وتلك الرواية المصنوعة قد اخذتها يدُ الضياع في اصلها اليونانيّ لكنها نُقلت الى لغات أُخرى كما سترى

وفي خزانة المخطوطات السريانيَّة في لندن نسخة خطيَّة موسومة بالعدد ١٢١٥٠ تحتوي ترجمة اعمال القديس الاريوپاغيّ تاريخ خطِّها سنة ٨٠٤ للميلاد وروايتها منسوبة الى احد كتبة اليعاقبة في القرن الثامن يدعى فوقاس الرهاويّ . الَّا انَّ الناسخ ألحق برواية فوقاس في الصفحة ١٧٣ خبر الرؤيا التي عاينها ديونيسيوس عند وفاة المخلِّص في هليوپوليس مدينة مصر (Cat. de Wright, 496) وكذلك ورد هذا الخبر في نسخة أُخرى سريانيَّة من المتحف البريطاني تحت العدد ١٤٦٤ (Wright, p. 1113) فيقال انَّ رؤيا ديونيسيوس جرت في مصر (ܒܡܨܪ ܕܡܨܪ)

فانَّ الناسخ باثباتهِ لهذا اللحق بعد الرؤيات عن فوقاس الرهاويّ قد اشار الى انَّ هذا الكاتب لم يعرفها في القرن الثامن كما انَّ القديس مكسيموس الشهيد شارح ديونيسيوس الاريوپاغي لم يلمح اليها مطلقًا في القرن السابع ولا ريب في انهُ يوجد علاقة ظاهرة بين هذه الرواية السريانيَّة التي لم تُنشر بالطبع حتى الآن وبين روايتين أُخريين سنذكرهما آنفًا كما يتَّضح من عنوانها ومن مطلعها واوَّلها هكذا: « ܐܢܐ ... ܕܐܠܦ ... ܐܢܐ ... ܕܐܠܦ ... » اي « انا يا محبّي تعليم الحكمة

الذي نُذرتُ لاكون منذ احشاء امي قربانًا لرئيس الشياطين »

ثم ظهرت سنة ١٩٠٠ ترجمة ثانية من قصّة ديونيسيوس الاريوپاغي في اللغة القبطية نشرها مستشرق روسيّ يُدعى اوسكار فون لام (١ في نشرة المكتب العلميّ في بطرسبرج باللغة القبطيّة . وهذه الرواية كالقصّة (السريانيّة) على شبه ميسر ينطق به ديونيسيوس ويخبر بتنصّره بعد ما شاهده من المعجزات عند موت المخلّص . وقد اتقن العلّامة فون لام طبع هذه الاثر القبطيّ واحاطهُ بملحوظات عديدة وانتقادات شتّى يشكره عليها كلّ محبّي اللغة القبطيّة والآثار اليعقيّة . وان قابلتها بالرواية السريانيّة المارّ ذكرها وجدتها هي هي لا تخالفها سوى في بعض اغراضها . ومما يجدر بالنظر انّ ديونيسيوس في هذه الرواية القبطيّة يجعل رؤياهُ ليس في هليوپوليس مدينة مصر لكن في مدينة يدعوها ⲙⲉⲗⲁⲛⲓ (بملاخ) فلم يكتشف السبر فون لام سرّ هذا المسمّى وما هو حقيقةً سوى رواية قبطيّة لاسم بعلبكّ فانهُ وجد في اليونانيّة هليوپوليس فدلّ عن مدينة عين شمس في مصر المدعوّة هليوپوليس وفكّر في مدينة بعلبكّ الشاميّة التي تُعرف بالاسم عينهِ في اليونانيّة

وفي هذه الرواية القبطيّة ذاتها دليل على بدعة اليعاقبة الذين كما سبق لنا القول اصطنعوا اعمال القديس ديونيسيوس . فانّ في جملة الكلام المنسوب الى ديونيسيوس يقول الراوي انّ تلك المعجزات ولاسيّما كسوف الشمس انّما جرت « لسبب الاله الذي صُلب (٢ » ⲛⲧⲁⲧⲙⲟⲩⲛⲉ ⲉⲧⲃⲉ ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲛⲧⲁⲣⲉⲧⲁⲡⲟⲧ ⲁⲙⲟⲟⲩ

وهذه العبارة كما لا يخفى هي شعار البدعة النوطيّة ومذهب القائلين بتألّم اللاهوت (Théopaschites) كيوحنّا مكسنيوس والرهبان المدعوّين بالاسقوثيين الذين اثاروا في الكنيسة برأيهم الكاذب وذلك في نفس الزمان الذي ظهرت فيه اعمال القديس ديونيسيوس الموهومة

وبينما نحن نقلّب مخطوطات المكتبة الشرقيّة في كليّة القديس يوسف في بيروت وقفنا على كتاب عددهُ ١١٢ وهو يحتوي على سير بعض القديسين المخطوطة بالعربيّة

(١ الطبع Von Lemm, Bulletin de l'Acad. Imp. des Sciences de St-Pétersbourg, sér. V, t. XII (1900) p. 267-306

(٢ في التأليف السابق (ص ٢٧٠)

منذ نحو ٢٠٠ سنة منقولةً عن روايات يونانيّة قديمة . وفي الصفحة ٢٠٨ من هذا المجموع « سيرة ابونا (كذا) ديونيسيوس الاروباجيتوس اسقف اثينا » فتحفّحناها واذا فيها ذكر الخبر المرويّ في السريانيّة والقبطيّة عن سبب تنصُّر القديس ديونيسيوس ادرجهُ الراوي في سيرته وهو يبتدي هكذا (fol. 104v) :

اعلموا ايُّها الاخوة المباركين والشعب المختار بن انَّ العقل يتوق ويشتاق الى اظهار فضيلة الحكماء القديسين وحرص الانسان ان يلتقط بعض (ببعض) ما يكون من فضائلهم فسأل الربّ مسلي الحكمة للحكماء ان يرشدنا الى كشف (كشف) بعض فضائل هذا اعني ديونيسيوس القديس وعلمهُ (؟) الله ي

ثمَّ يردف الكاتب كلامهُ بذكر ما في الكون وسيرة البشر الاولين وعبادتهم وصنائعهم ويتوسّع في ذلك حتى يصل الى سيرة ديونيسيوس فيقول عن اصله ما حرفهُ : (fol. 108r)

ويجب عليَّ ان اهتمَّ بما قصدت ولا اشتغل بكثرة الكلام عمَّا طلبتهُ . وذلك عند ما احتسبتُ بمعرفة والد هذا الرجل الحسن الحكمة والاقتدار عمَّا بحكمته وعلومه . واني عمرتُ الى اثينا فعرفتُ انهُ رجلٌ شريف زاهد في الحكمة على اهل زمانهِ وانهُ في ذلك الوقت مدبر (fol.108v) البلد ومقدَّم عند جميع الرؤساء والحكماء واسمهُ كان سقراط

ثمَّ يذكر الراوي انهُ وُلد لسقراط هذا ابن دعاهُ ديونيسيوس وخرَّجهُ بالعلوم كما يليق برجل يُدعى سقراط وانَّ الولد برع في كلّ العلوم حتى تولَّى رئاسة كهنة الاصنام لانهُ كان قد نذر به للآلهة قبل مولده . وبعد هذه الاوصاف ينتقل الراوي الى ذكر تنصُّر ديونيسيوس لكنَّهُ لا يرتضي بان يخبر بما هو بنفسهِ بل يطلب من ديونيسيوس ان يرويهُ هو قائلًا :

واما الآن اجبر فاقول (fol. 109r) اذنو الآن ايُّها الحكيم وخبّرنا حقيقة امرك وما جرى بعد حصولك في بيوت الاصنام

فيلبّي ديونيسيوس دعوتهُ ويروي ما جرى لهُ على هذه الصورة :

قال القديس الحكيم ديونيسيوس : افهموا ايها السامعين لاصف لكم حسن الحكمة لحبيها . وذلك اني تدرعت في معرفتها زماناً ما . ولاجل شغفي لها قاومت بها جميع الحكماء . دعتني الحكمة فاجبتها واما انجذبت مني وفي بعض الاعيان دخل اريوس باغوس الى بيت الالهة ولاجل انهُ هو كان اركون الشاطين دخل الى بيت الالهة ليفتقد البيت وخدمة الكهنة لها . ولمَّا نظر الى اصنامي وحسن

خدمتي عند ذلك ادعاني وسألني عن اسمي وعن والدي. فاخبرته اني من اثينا ابن سقراط المعروف واني قد نُذرتُ للالهة. امر كهنة الاصنام بالاهتمام بي وان يعلموني (يناسوني) جميع صنوف الحكمة. فسلموني الى ديوكراطس رئيس الفلاسفة فاجهد نفسه في تعليمي. وعرفت مدخل الحكمة ومخرجها وعرفت ما في اسفل والعلو معرفةً (fol. 109v) بينة وعرفت مبلغ النجوم والساعات. . . وبلغت ايضاً الى الغاية في سفر الاسطرونوميا وكنت اقرّي باقتدار بين الحكماء وعبرت الحكمة مراتب الفلاسفة

ففي بعض الايام خرج من الاركون ان يُبنى في اثينا بيت كبير للحكيم اريوس باغوس. فلما بني وتم (تمّ) اجتمعوا اهل اثينا ليقربوا ذبائحهم وكان مكتوب على بعض الدكك التي يرسم الذبائح «الاله الخفي هو رب الالهة». فلما دخل اريوس باغوس الى بيت الالهة امر ان يحملني رئيس القضاة ولما تحققوا ذلك اهل اثينا فرحوا بي فرحاً عظيماً. وفي بعض الاوقات اجتمعوا اهل مدينة (fol. 110r) اعني بعليك واعطوا الصنم المسمّى مرانيون ودفنوا عنده ذا رتبة الباد بسببه فاشتغلوا على الكاهن الذي وراه وكتبوا الى اثينا بسببه. فلما وقف اريوس باغوس على تلك الامر امر الاركون ان ينفذوني الى مدينة الشمس لافصل ما جرى من امر الصنم. فمضيت مثل ما امرت الى المدينة الشمس فاضطرب البلد لقدومي واجتمعوا كافة البلد وجميع الروساء من المدن والقرى المحيطة بها واتوهم ووردوا لاجل الحكومة وشاهدتها (كذا) التي انا مزمع اعلمكها. ثم اني امرتهم ان يزينوا الاسواق وان يجتمعوا في الغد الى مجلس الحكم. فبكروا كافتهم واني جلست على الكرسي الذهبي وكافة الروسا والاكابر والكهنة والاراكنة والفلاسفة قيام ولم آمر احد منهم بالجلوس وذلك ليكونوا متيقظين في خدمة الالهة. ثم اني اظهرت احكام الحق يناسوس متقوم كما يجب على الحاكم العادل. فلما كانت الساعة (fol. 110v) السادسة والشمس في وسط الدرجة واعين الكل ناظرة اليّ كيف افصل الحكم. وكان ذلك الوقت تألم السيد المسيح اذ الارض قد تزلزلت كلها بغتة واظلمت الشمس والاصنام كلها تساقطت وتكسرت. واقامت ثلثة ساعات. فلما انكشفت الظلمة سجدوا الكهنة وكافة الروساء وجماعة الحاضرين لديّ وسألوني عمّا حدث في العالم. عند ذلك اخذت سفر الاعداد وجزتُ في طريق الشمس وابواب الضو واشرفت على كافة البروج فلم اجد سبب ذلك التغيير. . . (fol. 111r) . . عند ذلك تحيّرت وخفتني الحيرة حتى اعلم سبب اضطراب الاستقصات. وكانت الاقرن (؟) تكدني وتثقل فكري فاستغثت (فاستغثت) بالحكمة لتدلني وترقني على الحقايق فاجابت وقالت لي: ان هذا السبب الذي تطلبه ايها الحكيم ليس هو في العلو ولا في السفل فاجهد نفسك بطلبه ان كنت حكيم واجتاز في سفر الافلاك ثانيك تجد حاجتك. عند ذلك امرت تلميذي سقلابيوس ان يحضر في سفر الافلاك وهو الاسطرونوميا واقبلت واعبر الارض (fol. 111v) بين يدي فاذا اني قد رايت رجلًا وهو مصلوبٌ في وسط الارض وهو معلق على خشبة فوق راسه لوح مكتوب فيه خفيًا ان هذا الاله الحقي تزل الى الارض سرًا وظهر من عذراء متجسد وهو خالق كافة البرايا المنظورة والغير منظورة. وصاليه من افراط جهلهم مأجور بغير معرفة. فلما نظرت الى ذلك رددت يدي الى ثوبي فشققتهُ. فلما نظروا الكهنة والحكماء الحاظرين مني هكذا الفعل تحيّروا ثم انهم دنوا مني وسالوني بان اعرفهم ما هو هذا الامر العظيم الذي حدث في العالم

مثل هذه الحوادث فاوميت اليهم بيدي ان لا يتكلم احد شيئاً وقلت وانا باهت: اصغوا ايها الحكماء ولا ترتابنَّ افكاركم لان الحق قد ظهر فلم نتعب يا قوم بالباطل الاله المختفي عن العالم قد نزل الى الارض باختياره وتجسد وصلبوه اهل خاصته وهم لا يعلمون لاجل طغيانهم في نفسه ومن (fol.112r) اجل هذه الجهة اظلم النور وامتدت الارض وتغيرت الاستقصات ثم اني عند ذلك ورخت اليوم والساعة والوقت والشهر والسنة واحتفظت به ليعرف في الدهور الاتية

وبعد ذلك الوقت باربعة عشر سنة ورد الرسول بولس المكرَّم ليكرز في اثينا. لما سمعوا كرازته اختبط البلد وذلك انهُ كان يقام باقتدار ويخبر بالصليب فاجتمعوا كافة الناس والرؤساء وقالوا اليَّ قائلين ان انسان غريب قد ورد الى مدينتنا وهو رجل مشبه ولهُ منظر وقد بان لنا من كلامه انهُ من اهل الحكمة والفلسفة وقد ادهش الناس من كلامه ومناداته وانهُ يذكر علم ليس نعرفهُ وهو معجز وذلك انهُ يكرز لنا بالاله مصلوب ويستجديا اليه والى عبادته وبعدما عن الذبايح والقرابين. ولاجل ذلك وردنا عليك لكي تدبر بو ما يقتضي رايك. فلما عرفوني ذلك امرتهم ان يكثروا الحاضرين ويجتمعوا الناس كافة وجاءت (fol.112v) انا في اعلا المراتب على الاذان وامرت الحكماء وجميع الفلاسفة والكهنة واكابر الدولة الجالوس. ثم اني انتفضت واستحضرت بولس وامرت بان لا يتكلم احد من الناس. فلما دخل امرتهُ بالكلام وانهُ يظهر كلام كرازته فابتدا هذا المختار بالروح القدس باقتدار وحرارة بلا فرع و يخبر جرى وقال: اني اراكم يا اهل اثينا افضل من جميع الامم بعبادة الشياطين وفي بعض اجتيازي على بعض البيوت والدكك رايت مكتوباً «الاله المختفي» وهو الذي اكرز لكم وهو الذي تسجدون لهُ ولا تعلمون وانا اشتهي ان تعرفوه بالحقيقة وهو الذي. . . صعد على الصليب واحتمل الالام بجسده لخلاص العالم وخلص بني البشر من عبادة الشياطين وبتالهه تامت الاستقصات. اظلمت الشمس وتزلزلت (fol.113r) الارض وتشققت الصخور وسقطت الاصنام وتكسرت. فلما ذكر الصليب والاستقصات ذكرتُ ما جرى وانا في مدينة الشمس فامرت تلميذي سقلابيوس الذي كان معي في مدينة الشمس بان يحضر لي ذلك التذكار من ذلك الوقت. فلما احضره لي فتحته وقرانه لدى كافة الرؤساء وسألت القديس بولس عن الوقت واليوم والشهر والسنة وفي اي برج كانت الشمس وفي كم درجة وكم كان في الطالع فقالها فخرج قوله كما كان معي في ذلك التاريخ فتحققت ان المصلوب هو الاله المبدع لكل المخلوقات. فلما سمعت ذلك ما تمالكتُ ذاتي بل اعترفت وامنت بالامانة واعتمدت من يد القديس بولس انا وجميع اهل اثينا وانهُ اضاف اليَّ الكهنوت فشكرت الله الذي اهداني بالحكمة الى معرفة الحق واعطاني ايضاً بالحكمة سلطان الامانة. . .

فمن اطَّلع على هذه الرواية وجد حالاً ما بينها وبين النصَّين (السرياني) والقبطي من التشابه وجزم ايضاً بانَّها مثلهما منقولة عن اصل يوناني لوفرة الفاظها المعرَّبة من اليونانية. اما تاريخ ذلك الاصل اليوناني المفقود فقد قلنا انهُ متأخر عن زمن القديس مكسيموس الشهيد وعن فوقاس الرهاوي اعني بعد القرن السابع واواسط الثامن

لكنَّهُ سبق الربع الاوَّل من القرن التاسع لوجود ترجمة سريانيَّة منهُ تاريخها ٨٠٤

ولعلَّ سائلًا يسألنا الآن وهل يوجد علاقة بين رسالة الراهب هلدورين المرسلة الى ابولوفانس والرواية اليونانيَّة التي عنها صدرت الروايات المذكورة في (السريانيَّة) والقبطيَّة والعربيَّة ؟ الجواب على ذلك انَّ العلاقة بينهما واضحة لكنَّنا نرتأي (اوَّلًا) مع معظم الكتبة حتى المدافعين عن صحَّة اعمال ديونيسيوس بانَّ هذه الرسالة زور ليست صحيحة . ونرى (ثانيًا) مع بعض ارباب الانتقاد الذي ينكرون صحَّة تآليف ديونيسيوس الاريوباغي بانَّ مصطنع هذه الرسالة هو غير المزوِّر لبقيَّة اعمال ديونيسيوس . ونرى (ثالثًا) انَّ الرسالة الى ابولوفانس ليست منقولة من اصل يونانيّ ضائع (١ لا يوجد من التوافق بين احدى عبارات هذه الرسالة وشروح القديس مكسيموس على اعمال ديونيسيوس اعني تاريخ حياة القديس ديونيسيوس المذكورة في الرسالة الى ابولوفانس وفي الشروح المذكورة فانَّ كليهما يقول انَّ ديونيسيوس لمَّا عاين كسوف الشمس العجيب عند وفاة المخلِّص كان عمرهُ نحو خمس وعشرين سنة (٢ الَّا انَّ هذا ليس بكافٍ لأن نجزم بانَّ القديس مكسيموس عرف رسالة ديونيسيوس الى ابولوفانس اذ لو عرفها لأشار في رسالته الى بوليكربوس الى ما فيها من التفاصيل عن الظواهر التي حدثت في موت المسيح . هذا فضلًا عن ادلَّة أخرى نضرب عنها صفحًا لما تحتاج من الايضاحات المسهبة

وعندنا انَّ الرسالة التي رواها الراهب هلدورين عن لسان ديونيسيوس الى الفيلسوف ابوفالونيس بعد تنصُّره ليست نقطًا مختلقة بل هي من تصنيف هلدورين نفسه وذلك للاسباب الآتية : (اوَّلًا) لانَّ هلدورين كاتب لا يُوثق به وقد روى غير ذلك من النصوص التي يثقُ علماء زماننا في نبذها ونسبتها لهُ . (ثانيًا) لأن هذه الرسالة لم يعرفها احد قبلهُ من الكتبة المتقدِّمين الذين اهتمُّوا منذ القرن السادس الى

---

١) اطلب مجموع الآباء اليونان لمين Balth. Corderius s. j. ap. Migne, PP. GG. III, 1121-1122 note 64

٢) هكذا ورد النصّ في شروح القديس مكسيموس Maximi Scholia, Migne, PP. GG. IV, 573: Ὑποθώμεθα (var. ὑποθῶμεν) δὲ τὸν θεῖον Διονύσιον ὅτε τὰ ἐπὶ τῷ σταυρῷ τοῦ Κυρίου εἶδεν εἶναι τε ἕτοιμα, ἅτε οἶμαι ἔτι ἀναγινώσκοντα

التاسع بدرس اعمال ديونيسيوس . ولم يشيروا اليها البتّة . (ثالثًا) لأنّ في هذه الرسالة عدّة اشارات الى الرواية اليونانيّة التي منها نُقل خبر رؤيا ديونيسيوس وبقيت آثارها في الروايات الثلث (السريانيّة) والقبطيّة والعربيّة التي وصفناها فلا غرو انّ هلدوين اطّلع على تفاصيل هذه الرؤيا وجمع بينها وبين الرسالة الى بوليكربوس المنسوبة الى القديس ديونيسيوس فاصطنع منهما الرسالة التي زعم انّها وجّهت الى ابولوفانس . وممّا يحقّ له النظر انّه ذكر في الروايتين العربيّة والقبطيّة المنقولتين عن اليونانيّة انّ ديونيسيوس دوّن بالكتابة ما لحظهُ عن كسوف الشمس وان سبب تنحّره انّما كان ما وجدهُ من الموافقة بين ملحوظاته عن الشمس وما سمعهُ من بولس عن موت المسيح وقيامته . وهذه الرواية منقولة بصورتها في ترجمة حياة ديونيسيوس التي الّفها هلدوين في اللاتينيّة (١ فهذا التوافق في الرواية وغير ذلك من الادلّة التي لا يسعنا هنا تفصيلها ترجّح قولنا بانّ واضع تلك الرسالة هو هلدوين ليس غيرهُ لانّ مثل هذا التوافق في الرواية يدلّ على نقل احد النقلة . وليس لدينا حجّة لنسبه هذا العمل الى مدلس آخر سبق هلدوين سواء كان يونانيًا او لاتينيًا فوضع هذه الرسالة الى ابولوفانيس . ولو وجدت نسخة شرقيّة تروي تاريخ حياة ديونيسيوس اي سنّ ٢٥ سنة يوم رصدهِ للشمس في هليوبوليس لأضحى الامر واضحًا لا ريب فيه البتّة (٢

---

١) اطلب مجموع اعمال الآباء اللاتين : Migne, PP. LL. CVI, 36 (Hilduinus : Vita S. Dionysii) : Cum diem annumque annotassem et tempus illud cum eo quod Paulus annuntiaverat signis conclamantibus, concordare sensissem, tum et veritati manus dedi et me falsitatis nexibus expedivi نرى انّ هذا الكلام انّما هو تفصيل مسهب لما ورد في الرسالة الى بوليكربوس . واعلم انّ الشكّار الارمنيّ الذي نقل هذه الرواية عن اصل يونانيّ لا يذكر كما في الروايات الاخر انّ ديونيسيوس دوّن رصده لكسوف الشمس ووضعهُ في سجلات اثينا وهناك يقال فقط انّ اهل اثينا اقاموا لسبب هذه الحوادث هيكلًا للاله المجهول الذي ذكرهُ القديس بولس في خطابه لهم : *[illegible]* (Haismavourkh, ed. 2e, 1730, p. 104 ; cf. p. 99)

٢) وقد علمنا بالمسرّة انّ احد المستشرقين العلّامة كوغنر (M. - A Kugener) سينشر

فترى انَّ الترجمة العربيَّة افادتنا لتريف بعض مرويَّات هلدوين . الَّا انَّ في القسم الثاني من هذه الترجمة تفاصيل عن حياة القديس ديونيسيوس ورحلته الى فرنسة واستشهاده على عهد دومطيانوس القيصر الرومانيّ ما اختزعهُ هلدوين ثمَّ شاع في الشرق بعد شيوعه في الغرب ونقلهُ الشرقيّون دون تروّ . وبين هذه التفاصيل انَّ القديس ديونيسيوس وصل الى « مدينة باريسية » (fol . 119r) وانَّ الحاكم قضى عليه بقطع الرأس مع رفيقيه الوثاريوس وروستيقوس فلمَّا قطع السيف هامتهُ حمل القديس تلك الهامة بين يديه وسار بها الى بيت امرأة تدعى قاطولة (fol 119v) التي اسرعت لدفن الشهداء . قال :

ووضعت قاطولة السيدة اجسام الشهداء في بيت من البيوت الطيّبة لثلثة ايّام سلمت من تشرين الثاني ولم تزل الجانب حسنها ولدخا (كذا) بعض من اجسام الشهداء بغرفة عين من العيون الجارية فسأل ربنا والاهنا الخ (fol . 120)

فكلّ هذه التفاصيل الاخيرة هي من اختراع هلدوين الراهب في القرن التاسع امتدَّت من الغرب الى الشرق حتى بلغت ناقل هذه الترجمة العربيَّة . وقد جرت بين العلماء في ذلك مجادلات عنيفة فكانوا بين مصدّق ومكذّب حتَّى قام الاب اليسوعي كورنيليوس دي بي (de Bie) من جماعة البولنديين (Acta Sanctor., Octobr. t. IV. p.753 - 767) فاثبت بالبراهين اللامعة انَّ هذا التقليد عن استشهاد القديس ديونيسيوس الاريوباغي في باريس لا صحَّة لهُ وانَّ الشواهد القديمة للكنيسة اليونانيَّة تبيّن وفاة القديس في اثينة وهو اسقف عليها فكان حكمهُ فصلًا وبهِ بطلت تلك الاقاصيص التي اختلقها هلدوين . ويوافق تقليد الكنائس الشرقيَّة تقليد الكنيسة اليونانيَّة . وفي فكرنا ان نجمع قريباً تلك الروايات فتزيد الامر ايضاحاً

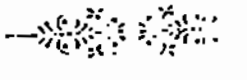

عمَّا قليل في مجلة الشرق المسيحي ترجمتين سريانيَّتين للقديس ديونيسيوس مرويَّتين عن لسانهِ
cf. F. Cumont. Comptes rendus de l'Ac. des. Inscript. et Belles Lettres

الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رتزفال اليسوعي (تابع لما سبق)

٢ العالميات في عام ١٩٠٨

كما امتازت سنة ١٩٠٨ بأحداثها الدينية كذلك اصابت في عالم السياسة مقاماً خاصاً وما لا يختلف فيه اثنان انَّ العالم المتضرم كان مبدأ طور جديد في سياسة الدول. حيثما ألقينا النظر وجدنا الامم الكبرى في غليان وحركة وكأن بزعمائها يطلبون لشعوبهم عزاً وخطتهم مجازاً يسلكون فيه فتارة يشيرون الى الحرب وتارة تستروح من كلامهم رائحة السلم رحيناً يصرفون الهمة الى المعاهدات الدولية. فماذا يكون من هذا القيل والقال فالله اعلم به لانَّ له وحده عزَّ وجل التدبير وليس للانسان سوى الحدس والتفكير. أما نحن فلا يسعنا سوى تدوين اهمّ الاحداث التي جرت في العام الماضي

وما يقال عن السنة ١٩٠٨ اجمالاً انها انتُتحت على طالع مشؤوم فان الازمة المالية في اميركة كانت ضربت اسواق العالم العظمى ضربةً ليست. وانما نكايتها في القطر المصري كانت اشدّ واوجع حتى انَّ حالة مصر المالية الى الآن لم تزل في حيص بيص وارتباك. اما اميركة فانَّ القوانين الصارمة التي وضعها الرئيس روزفلت ضدّاً للاحتكارات والمضاربات المالية اعادت للمعاملات التجارية بعض الثبات والثقة

وكذلك بلاد اليابان كان ينوء عاتقها تحت ثقل ازمة اقتصادية بالغة وهي مع ذلك لا تعلم كيف تنتهي مسألة المهاجرين من ابنائها الى اميركة. الّا انَّ هذه الأزمة قد حُلَّت على طريقة لم تكن في الحسبان كما سترى. اما الازمة المالية فتلافتها الدولة اليابانية اذ باشرت بعدَّة مشروعات من شأنها ان تأخذ بناصر الاقتصاد الوطني وتمنع دمغة ثانية وقوع النكبة التي أُصيبت بها في اثر حربها مع روسيا. واخصُّ هذه التدابير التي استعانت بها تقليلها لبرنامج حربها بانقاص التسليحات. وبفعلها هذا قد قدَّمت لارباب الامر مثالاً محمودًا وقدوةً صالحة يتنبَّى العقلاء لو انتست به الدول الاوربية. وقد فعلت انكلترَّة فعلها بخفضها لمبالغ ميزانيتها منذ ثلاث سنوات حتى بلغ اقتصادها في

هذه المدة مليارًا من الفرنكات ومع هذا فانَّ مجلس الأمة لا يشاء البتة ان تفقد انكلترة سيطرتها على البحار

وهنا امرٌ آخر يجدر بنا ذكرهُ في مقدمة كلامنا عن وقائع السنة ١٩٠٨ وذلك هو العلاقة بين ثروة الدول وسياستها. فهذه دولة اليابان فانَّها في اوائل السنة ١٩٠٨ كانت تبرق وترعد والكلُّ ينتظرون ثورها في ساحة الوغى لمحاربة الولايات المتحدة. فما مرَّ عليها اشهر حتى خمدت جمرتها وسكنت ثورتها وتصافحت الدولتان وتعاهدتا. والسياسيُّون مجمعون على انَّ اليابان لم تعد الى هذا التغيير الَّا خوفًا من تهوّرها في ورطة تبيد ماليتها وتمحقها. والدليل على ذلك ما باشرته من الاصلاحات في تعديل ميزانيَّتها

وكذا يقال عن المانية. فانَّ امبراطورها غليوم الثاني في مطاوي السنة المتصرمة ارعج العالم بخطبه الحماسيَّة التي كان يُشتمُّ منها رائحة البارود ولعلَّهُ لم يكن ليكتفي بالقول بل وقف بجيوشه لمحاربة الفرنسويين لولا علمهُ بثروة فرنسة التي تفوق على مالية الالمان

ولكن دعنا الآن من هذه الاعتبارات وهيَّا بنا نلخص الماجريات السياسيَّة في السنة المنقضية

ترجع احوال السياسة في السنة ١٩٠٨ الى ثلاثة امور شغلت الدول دون سواها. الاوَّل أحداث مراكش والثاني انقلاب الهيئة الحاكمة في تركيَّا. والثالث خصام اليابان مع اميركة ومع الصين. ونحن نباشر بهذا الامر الاخير لننتهي من ذكر الشرق الاقصى

اما خلاف اليابان مع اميركة والصين فانَّ معاداة اميركة لليابانيين ظهرت منذ بضع سنين فانَّ الولايات المتحدة ولاسيما اهل جزائر هوايي والفليبين وسواحل الاوقيانوس الهادي وسان فرنسيسكو كانوا يشكون المزاحمة اليابانيَّة في بلادهم وينسبونهم الى الترفُّع والعتوّ اذ يطلبون المساواة بالحقوق مع الوطنيين في كلّ الدوائر العموميَّة والامتيازات الاهليَّة من تجارة وبحريَّة وتهذيب وسعي في المدارس ومن ثمَّ كان الاميركيُّون يلحُّون على ارباب الامر بان يسنُّوا قانونًا ينفي المهاجرين اليابانيين من تلك الامتيازات. فجرى في ذلك بين الدولتين عدَّة مفاوضات كانت تزيد حدَّةً يومًا بعد آخر حتى توقَّع الناس انتشاب الحرب لاسيَّما بعد ان اخر الاسطول الاميركي في وجهة الاوقيانوس الهادي. وكان الرئيس روزفلت أشعر بنيَّته العدائيَّة منذ شهر تشرين

الاوّل من السنة ١٩٠٧ حيث قال: «لا تنتصر امّةٌ الّا اذا ضربت ضربةً قويّة ولا نستطيع ان نضرب الّا بحريّتنا». فلما سار الاسطول الاميركيّ قاصداً الاوقيانوس الهادئ في نيسان اجمع السياسيّون على انّ الحرب لا مناصّ منها

وليس هنا المقام لتفصيل اخبار تلك الرحلة وسير الاسطول الاميركيّ. والامر المقرّر انّ اليابان بعد التهديد والوعيد اخذت تلطّف كلامها بل ابدلته تماماً حتى جملته ولائناً ولمّا وصل الاسطول الاميركيّ الى سواحل اليابان لم تُطلَق المدافع الّا للمظاهرات الحبيّة. وكانت اليابان هي المتقدّمة في طريق التساهل والتوادّ والمظنون انّها لم تفعل ذلك الّا صوناً لماليّتها وتثبيتاً للاصلاحات الاقتصاديّة التي قرّرتها. ولعلّها غيّرت خطّتها ايضاً لما حدث بينها وبين الصين من النزاع. وعلى كلّ حال انّ اليابانيين لم يدّخروا وسعاً في حسن استقبال السُّفن الاميركيّة حتى غلب على ظنّ الدوائر السياسيّة بانّه عُقدت معاهدة بين الدولتين. فلما وصل الاسطول الى مرسى يوكوهاما في ٥ تشرين الاوّل رحّب اهل اليابان بالاميركيّين وزيّنوا المدينة لاكرامهم بالانوار وقسيّ الانتصار وانزلوا الاميرال سپاري وعمدة ضبّاطه في بلاط شيبا الامبراطوريّ واقلّوهم في العجلات الملكيّة وتشدّدوا على كلّ من ينطق في حقّ الاجانب بكلمة سوء. كما انّهم اسرعوا ترضيةً لخواطر الاميركيين في ان يعدلوا بالمهاجرين عن السير الى الولايات المتحدة بل الى جزائر هوايي نفسها. واليوم قد هبط عدد المهاجرين الى اميركة بنسبة اربعة اخماسه في السنين الماضية رغماً عن ازدياد المواليد في اليابان الى نصف مليون في السنة

امّا النزاع بين اليابان والصين فلم يتمّ حتى الآن. وكان سببه ضبط الصينيين في ٥ شباط ١٩٠٨ لباخرة يابانيّة تدعى تاتسو مارو وجدوا فيها اسلحةً مهرّبة. فاحتدم اليابانيّون غيظاً وارسلوا اسطولاً مركّباً من ستّ دوارع ليطالب بالسفينة المستصفاة فدخل مرسى آموي في ٢٥ آذار وارسل الى ذوي الامر البلاغ الاخير فاضطرّ الصينيّون بدّ السفينة لكنّهم ادركوا ثأرهم من اعدائهم بمصادرة بضائعهم ونهبوا مخازن الصينيين المحتوية على سلع يابانيّة ومذ ذاك الحين قد جاهر اهل الصين على رؤوس الملإ بمبدإهم الوطنيّ «الصين للصينيين». والحال بين الدولتين لا تزال حرجةً وقد كثرت بينهما الحوادث المكدّرة والدعاوى الاحتلافيّة في ثغور البلاد في منشوريا وكوريا.

وقد زاد تحمّس الصينيين منذ بشّر ولاة الصين باعلان دستور نظاميّ للاهالي وذلك بعد وفاة ابن السماء الامبراطور كوانغ سي الذي ولد في ٢ آب من السنة ١٨٧٢ وكان يتولّى الملك منذ السنة ١٨٨٩ الّا انّ الضابطة لعنان الامور كانت خالتهُ الامبراطورة تسوهي التي كان مولدها سنة ١٨٣٤ وقد وقعت وفاتها يوم وفاة الامبراطور. امّا الملك الجديد فهو ولدٌ عمرهُ سبع سنوات فقط. ولا بدع انّ ذلك ممّا يزيد الامور خطرًا وارتباكًا مع كثرة الاحزاب السياسيّة في الصين

دَعْنا نعود الى اوربّة على طريق الهند فنلتمح الى ما جرى هناك. يظهر انّ الهنود يستثقلون النير البريطانيّ فيحاولون خلعهُ عن رقابهم وقد استجدوا لهذه الغاية بالافغان ففي ٥ من شهر ايار حصلت مناوشات بين الجنود الانكليزيّة والجيش الافغانيّ الذي جاء لناصرة المتمرّدين. وقد دحر الانكليز عسكر الافغان لكنّهم اصيبوا بخسائر تُذكر. وممّا يدلّ على اشتعال نار الفتن في الهند قتل الاهالي في كالكوتّة نائب الحاكم في اقليم بنغال السير اندرو فرازر في ٧ تشرين الثاني. وقد افادت أنباء أخرى انّ الفتن تمتدّ في جهات غيرها. وكذلك حصلت في بتباي اعتصابات اقلقت الحكومة في اواسط تموز. وزد على هذه النكبات فيضانًا كبيرًا اردى بحياة خمسين الفًا من البشر جرى هناك في غرّة تشرين الاوّل

٢ ﴿ حوادث مرّاكش ﴾ بدت الحرب المرّاكشيّة ضئيلةً وكان البعض يرتأون انّ البعثة الفرنسويّة هناك لا تتجاوز مظاهرةً عسكريّة فتتمّ بعد اسابيع قليلة. لكنّ الامر لم يزل يتفاقم حتى قامت الحرب على ساق. وكان افتتاح القتال في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ وفي ١٥ منهُ جرت واقعة في عين صفا فجُرح ١٣ جنديًا فرنسويًا. وفي ٢٢ ثار اهل فاس ونهبوا المخازن. وفي ٢٧ اقامت الحكومة الفرنسويّة لقيادة الجيش الجنرال داماد (d'Amade) بدلًا من الجنرال درود (Drude) ابن احد اللبنانيين نزيل مرّاكش كان ابوهُ تركهُ صغيرًا في تلك البلاد فربّتهُ راهبات المحبّة وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة. وفي ١١ كانون الثاني عُزل السلطان عبد العزيز واقيم عوضًا عنهُ اخوهُ مولاي حفيد. فتحضّر السلطان الجديد لمحاربة الفرنسويين ونادى بالجهاد في ١٦ منهُ واعلن بسلطتهِ في مكانس بعد يومين

ومذ ذاك الحين تعددت الوقائع الحربيّة بين مولاي حفيد والفرنسويين فجرت

في شباط اربع معارك خسر فيها الفرنسويون نحو خمسين من القتلى وجُرح نحو المئة. وحدث في اثنائه انفجاران على سفينتين راسيتين في طنجة ومزاغان وهما جان درك وديكرت جُرح بهما عشرون جندياً. وكذلك تراكمت الثلوج على فرقة الضابط ايتران (Etrang) وساورتها الانواء. فتفقدت ٣٤ من رجالها

وكان الجنرال داماد في اثناء ذلك قد استولى على ستّات وتأهب لوقائع جديدة. فاستأنف العدوّ في ٢٩ اذار القتال الذي انجلى عن ٩ قتلى و ١٢ جريحاً. وفي ١٦ نيسان باغت مولاي حسّان الفرنسويين في معلّبة فقتل منهم ٢٨ وجرح مئة. وكانت آخر وقيعة في ١٣ أيار في ابي ذنيب قُتل فيها ١٣ فرنسويا منهم ٣ ضبّاط وجُرح ٦٣ نفراً وفي اثر ذلك هدأت الاحوال نوعاً

وكان مولاي حفيد قد اكتسب شهرةً في اعين قومه لقيامه بازاء الفرنسويين فزاد نفوذهُ وعظم شأنهُ . وفي ٩ من حزيران دخل بأبهة ورونق فاس مدينة مراكش المقدّسة. وفي ١٤ منهُ أعلن به رسمياً كسلطان في القصر. وما لبث ان اوفد نوّاباً من قبلهِ الى الدول الاوربيّة ليستطلع طلعها الّا انّ فرنسة لم تقبل الوفد المراكشي بخلاف المانية

ومذ ذاك الحين دخلت المسألة المراكشيّة في طور جديد فانّ المانية التي كانت صادقت على معاهدة الجزيرة واقرّت بحقوق فرنسة في تقويم الميل واصلاح الخلل عدلت عن خطّتها ورأت في نهضة مولاي حفيد عقبةً كؤوداً في طريق فرنسة عدوّتها فجعلت تعضدهُ وتشدّد ازرهُ حتى بلغ الامر بغليوم الثاني أن يطلب من الفرنسويين أن يعدلوا عن السلطان الشرعيّ عبد العزيز ويعترفوا لاخيهِ بالولاية. فاخذ العجب كثيرين من مندوبي المجلس الفرنسويّ وجاهروا بمناهضة تلك الدسائس في جلسة ١٨ حزيران الّا انّ العدد الاعظم بينهم فضّلوا مجاملة امبراطور المانية بل لاموا في ٣ تموز الجنرال داماد لاستيلائهِ على ازمنور وبقيت فرنسة مع هذا موالية لعبد العزيز

وفي غضون ذلك تغيّرت الاحوال السياسيّة في تركيا فشُغلت بها الخواطر عن المسألة المراكشيّة التي خمدت مدّةً حتى أجج نارها الامبراطور الالمانيّ بخطبهِ التي اذهلت اهل بلادهِ انفسهم . وعاد الاخوان عبد العزيز ومولاي حفيد الى حربهما فدارت رحاها على عبد العزيز في ٢١ منهُ فولّى هارباً. أمّا مولاي حفيد فدخل طنجة

وأعلن بسلطته فيها وفي ٢٣ منهُ انبأ بها الدول الاوربيَّة. ولمَّا كانت اواخر ايلول لحَّت المانية على فرنسة بان تعترف لمولاي حفيد بالسلطنة لأن ولايتهُ كما زعمت ضروريَّة لاستتباب السلام

وكان الامر على وشك النجاز اذ وردت اخبار من البيضاء بان الشُّرط الفرنسويين اوقفوا ميعوثًا المانيًا كان يسعى بتهريب جند الفرقة الاجنبيَّة ولاسيَّما الالمان منهم. فاستاء الفرنسويون من هذا العمل اي استياء. وحبسوا الآثمين ولمَّا طلبت المانية بان يُفرَج عنهم أبت فرنسة ذلك كما انَّها لم ترضَ بان تتوسط لها العذر عن فعلها بل أثابت الجنرال داماد على حُسن تدبيره ورقَّتهُ الى رتبة فريق. فتوتَّرت الاحوال وزادت حرجًا حتى خيف ان تنشب الحرب بين الدولتين في اوائل الخريف وطالت المفاوضات بين وزير الخارجيَّة في فرنسة السيو بيشون وسفير المانية في باريس السيو رادولين حتى رضيت المانية على بغتة بان تُعرض المسألة على مؤتمر التحكيم في لاهاي (١) فالحال سكنت تلك الحركة الغريبة واصبح الناس في انتظار عقد المؤتمر

وإن سألت ما الذي حمل بعاهل المانية الى استبدال خطتهِ وطلبه التحكيم بعد قوله عنهُ أجبنا انَّ اهل المانية تضايقوا من سلوك الامبراطور وتقلُّبه في المسألة المراكشيَّة حتى لم يعودوا يوافقونهُ وكبير وزرائهِ الكنت دي بولوف على عملها لاسيَّما انَّ اخبار الحرب التي كانت تتناقلها الجرائد كانت تؤثر اسوأ تأثير في مالية المانية. فاخذوا يلقون الامبراطور بالسنة حداد في الصحافة وفي دار الندوة حتى أنهم طالبوا بان اعلان الحرب لا يُفوَّض بهِ الامبراطور وحدهُ بل يجب ان يكون من امتيازات مجلس العموم وكذلك رغبوا الى الامبراطور بان يكون كتشليارهُ لسان الدولة باجمعها وليس كاتبًا مجرَّدًا لاسرار الملك وممثلهُ هو فقط

وكان للالمانية دواعٍ أُخر تحدو بها الى الحيادة عن الحرب فلا تتهوَّر بها دون تروٍّ وذلك انَّ اوربَّة دخلت في طور سياسيّ جديد جعلها منفردةً عن بقيَّة الدول لا يعضدها سوى النمسة شقيقتها في لغتها الالمانيَّة

---

(١) انَّ مجلس التحكيم الدولي الذي انتهى في العام المنصرم دام ١٢٧ يومًا وقد افادت احدى الجرائد انَّ نفقات ذلك المؤتمر بلغت ١٥ مليونًا من الفرنكات منها ٥ ملايين في حقّ التلغرافات المتبادلة. فيا لهُ ما اعظم هذه المبالغ بالنسبة الى قلَّة ما نتج عن ذلك الاجتماع من الفوائد!

ولا بُدَّ هنا لادراك الامر من نظر اجماليّ في السياسة الدوليّة ولا بأس ان تخطّينا به الى ذكر الحادث الثالث الكبير الذي جرى في السنة الماضية فنقول:

انَّ المانية وانكلترَّة في الساعة الحاضرة على قاب قوسين من الخلاف والنزاع رغماً عن الزيارات المتبادلة التي جرت بين ادوارد السابع وغليوم الثاني اي الخال وابن اخته ورغماً عن الانتخاب الودّيّة التي شربها كلّ من الامبراطورين لاكرام الآخر. أمّا سبب هذا النفور فتجارة الدولتين وكلّ يعلم انَّ انكلترَّة كانت سابقاً فائزة بقصبة السباق في تجارة العالم وخصوصاً في الشرق الاقصى. فيا تُرى أتنغّص الممالك البريطانيّة نظرها عن تقدّم المانية التجاري ومزاحمتها لتجارتها في اسواق الدنيا. فهذا هو المشكل الكبير او بالحريّ المشكل الوحيد الذي يشغل كلّ الافكار في انكلترَّة

كلّا انَّ وراء ذلك مشكلاً ثانياً صرّح به آخراً اللورد روبرتس في مجلس العموم وانّما هو ملحق بالمشكل السابق. معلومٌ انَّ بريطانية العظمى لا تبتغي فقط السباق في الاوقيانوس الهادئ انكنّها تريد قبل كلّ شيء صيانة ارضها وحفظ بلادها من كلّ عداء. ولكن كيف يَسعها الاطمئنان وراحة البال اذا ما رأت المانية وفقاً لمرغوبها تزيد كلّ يوم عدد سُفُنها دون ان تجاريها في العمل فتُنشي هي ايضاً عدد دوارعها بل عدد جنودها برّاً. ويلجئها الامر ايضاً الى سنّ الخدمة العسكريّة على رعاياها ليقوى جيشها البرّي على ردّ كلّ هجوم عن جزيرتها. فترى انَّ هواجس انكلترَّة لا تخلو من سند. وناهيك به داعياً يسوق الانكليز على مناصبة السياسة الالمانيّة

وقد حدث غير ذلك من الامور التي زادت في تكدير الخواطر. وذلك انَّ جريدة التيمس في عددها الصادر في ٥ آذار اكّدت بانَّ الامبراطور غليوم الثاني كتب رقيماً بخط يده لوزير البحريّة اللورد تويدموث (Tweedmouth) يحاول فيه تحوير برنامج البحريّة الانكليزيّة. فجرى لهذا السبب في مجلس العموم مشاجرات عنيفة في جلسة التاسع من الشهر. ولم يجد الوزير وسيلةً ليعزّي نفسهُ الّا قولهُ بان الوسالة لم تكن رسميّةً فلا يُكترَث لها

فكلّ هذه الامور كان من شأنها ان تكدّر صفاء العلاقات بين الدولتين. والمرجّح انَّ اجتماع غليوم الثاني وادوارد السابع في ١١ و ١٢ آب لم تكن لهُ غاية أخرى سوى جبر الصدع واصلاح ذات البين. لكنَّ ارباب السياسة رأوا في زيارة

سابقة ادّاها ملك انكلترة واسرته لقيصر الروس واهله في رڤيل (Revel) ما هو اعظم شأنًا من مفاوضة ادوارد السابع وغليوم الثاني لأن في هذا التقرّب من القرابة ما يستوقف الابصار. وكان المقصود من هذه المواجهة الملوكيّة ليس فقط اتّفاق الدولتين على عدم التداخل في حوادث العجم بل إعداد محالفة انكليزيّة فرنسويّة روسيّة. ومذ ذاك الوقت لم تزل روابط البلاد الثلاثة تزيد وثاقةً. وقد ظهر الامر خصوصاً في حرج المسألة المراكشيّة في شهر تشرين الاوّل

فكلّ هذه الحوادث تنبئ بأفكار الانكليز وسبب حذرهم من المانية. ويُضاف اليها استعراض الملك لقوّات الدولة البحريّة وذلك في ١٦ تموز بضعة ايام قبل مواجهته للامبراطور غليوم وكان عدد السفن المستعرضة بالغًا الى عدد ٣٥٠ سفينة

اما تودُّد الانكليز لفرنسة فانّهُ في هذه السنة بلغ شأوهُ من اللطف والولاء. ففي ١٤ أيار كان افتتاح مؤتمر انكليزي وفرنسويّ في لندن قرّب الأمتين وصار في اثره استقبال شائق للرئيس فاليار عدّهُ السياسيّون كانتصار بهيّ وبنوا عليه الآمال الطيّبة لتوطيد السلام

فاذا يا ترى يبقى بعد تقرُّب هذه الدُّول العظيمة اعني فرنسة وروسيّة وانكلترة من المحالفة الثلاثية التي كانت سابقًا تتهدّد السلام العامّ. فانّ ايطالية حليفة المانية والنمسة قد ضعفت علائقها مع تينك الدولتين ولا تزال تصرف بنظرها الى انكلترة لانّ صوالحها التجاريّة وبحريّتها مرتبطة ايّ ارتباط بصوالح تلك الدولة. وكذلك قد اخذت ايطالية تميل الى روسيّة كما تشهد عليه ايضاحات وزيرها تيتوني في شهر آذار. وجاءت بعد ذلك مجاهرة النمسة باستيلائها على الهرسك والبشناق فكان فعلها هذا ضربةً لازبة على محالفة الايطاليين للنمسة. وقد حصلت وتنذر مظاهرات عدائيّة في جهات ايطالية ضدّ النمسويين لم تخمد حتى الآن ثائرتها. وزد على ذلك ما اثار عمل النمسة من الضغينة والشحناء في قلوب الدول الصقليبيّة كالصرب والجبل الاسود بل في صدور بعض اهل بلادها ايضاً كالتشاك والبوهيميين والسلوفان فحضّت فتن عديدة ضدّ الحكومة والجنسيّة الالمانيّة لم تقو الدولة على كبحها الّا بالجهد الجهيد

وكانت المانية في اثناء هذه الفتن لا تزال تظهر مدافعتها عن حليفتها النمسة الّا انّ مجاملتها هذه قد هيّجت عليها الخواطر وجعلت الدولتين منفردتين بازاء بقيّة الدول

لا يعضدها احد في سياستها . وسوف يعلمنا المستقبل ما ستؤول اليه الاحوال . وان لمكن اهل مؤتمر لاهاي ان يعيدوا مياه السلام الى مجاريها سوف يفضون مشكلاً صعباً ويربحون شكر جميع محبي السلام

٣ ﴿ الدستور العثماني ﴾ ها قد بلغ بنا الكلام الى الحادث الثالث العظيم الذي جرى في بحر السنة المنتهية ألا وهو الدستور الممنوح للدولة العلية . فان تحت هذا الامر طائلاً كبيراً وشأناً خطيراً لا يهم فقط رعايا الممالك المحروسة بل الدول الاوربية كلها اللهم الا بعض الدول الصغرى كالبرتغال والدول الشمالية

لما نشرت الجرائد لاول مرة في ٢٤ تموز خبر انقلاب الاحوال في تركيا ودقت البشائر في انحاء الولايات بالنظام الدستوري لم يكد الناس يصدقون الخبر بل ظن كثيرون ان تلك الانباء من الاراجيف والدسائس ليخدع بها السذج ويصطاد في شباكها المنتمون الى تركيا الفتاة . الا ان الامور ظهرت بعد قليل ظهور الشمس في رائعة النهار فبلغ الفرح بين العموم مبلغه وتطايرت القلوب بهجة وسروراً

ثم تساءل الجمهور كيف تحولت الامور بغتة وجرى هذا التغيير العجيب الذي لم يكن احد لينتظر وقوعه ولاسيما دون ثورة ومن غير ان تسفك الدماء كما حدثت الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ . هل يا ترى يكون مقبول بل فاعل ومعلول بلا علة ؟

اجل ان لهذه الثورة دواعي علتها كباقي الاحوال السياسية التي لم تحدث دون اسباب تسوق اليها . فمن المعلوم المقرر ان هذه الحركة نشأت في مكدونية وكانت الاخبار تأتينا حيناً بعد حين فتفيدنا ان الجيش هنالك في اضطراب وشغب . فاخذ انصار تركيا الفتاة ينتهزون الفرصة ليثيروا شركتهم باستنادهم الى العسكر ولم يزالوا يجدون في الامر حتى اكتسبوا الفيلق الثالث كله الذي به كانت تناط امور مكدونية وكذا جرى مع الفيلق الثاني الذي اتفى آثار جند مكدونية بل اتسع نطاق الحركة العسكرية حتى كاد يعم كل انحاء الدولة في اوائل سنة ١٩٠٨ . وكان في منستير جمعية سرية ضابطة لعنان التدبير ترسل اوامرها الى سائر الولايات واخذت تعضدها في العمل قوات الارناووط واليونان والبلغار والفلاخ بعد ان كانت في هرج ومرج يلتهم بعضها بعضاً . اما رئيس تلك الجمعية ولسانها فكان الضابط السني نيازي واصله من رسنه . فوجه الى اهل اوكريدا والى الشعب التركي خطبتين حماسيتين شيعتا باسمه

بين كلّ اهل تركيا. وقد عضده في مشروعه ضابط آخر يُدعى انور ففي ٢٣ تموز ارسل الى جريدة المانيّة كبيرة (Neue freie Presse) كتاباً يدعو فيه كلّ العثمانيين على اختلاف عناصرهم ليحتفلوا بذلك اليوم كاوّل يوم حرّيتهم وهو قد امضى كتابه هكذا « انور المشير من اعضاء جمعيّة الاتحاد والترقّي العثمانيّة »

وفي ٢٤ تموز جرت في ادرنه ومنستير فتنةٌ صرّح فيها الجند باستيائهم من القوّاد العاضدين للحكومة كشمسي باشا وهدايت باشا وصادق باشا. وكذلك حدثت في اليمن وبرّ الاناضول وولاية ارضروم ثورات اخرى اتت كاّها بشرها فقلبت النظام العتيق والجأت جلالة السلطان الى العدول عن حكمه المطلق. ففي ٢٣ تموز قدّم الصدر الاعظم استعفاءه وتولّى منصبه سعيد باشا. وفي ٢٤ منه اعلن السلطان عبد الحميد بالنظام الدستوريّ الذي كان سابقاً منحه سنة ١٨٧٦ بل اقسم على القرآن علانية بامانته للدستور وبوفائه حقوقه تماماً. واقسم بعده سماحة شيخ الاسلام واعيان الدولة المدنيّون والعسكريّون. وكانت الأيام التالية لهذا الاعلان أيام اعياد بهيجة أُقيمت الافراح وأُنيرت الانوار وسارت المواكب بالرايات والموسيقى في المدن والقرى ألا بعض الامكنة التي لم ترضَ بهذا التغيير. لكنّ اكثر العثمانيين اطلقوا العنان لسرورهم وتراءوا في هيئة امم ميتة انبعثت من قبورها فنالت حياةً جديدة. ولا حاجة أن نكرّر هنا تفاصيل تلك الحفلات الشائقة التي بلغت غاية الحفاوة لاسيّما في بيروت ولبنان (١)

وما خمد لظى هذا التحمّس حتى ترجّحت افكار العثمانيين الى تعيين المندوبين ليُرسَلوا الى مجلس المبعوثان. وكانت الوزارة في اثناء ذلك قدّمت استعفاءها فتشكّلت بدلاً منها وزارة جديدة رئيسها كامل باشا في ٥ آب. ثمّ تواردت الاخبار من ولاية ديار بكر بانّ الجيوش الحميديّة انضمّت الى العصيان وانّ زعيمها ابراهيم باشا يأبى معرفة الحكم الدستوريّ. فأُرسلت لمحاربته جنودٌ منظّمة تعقّبت آثاره وقاتلته اوحى قتال حتى ظفرت بالحميديين وقتلت ابراهيم باشا واحد ابنائه — وكذلك عصى في اليمن

(١) انّ اهل لبنان اظهروا بعد اعلان الدستور من شارات الفرح والبهجة ما قلّ نظير مثله في غير انحاء الدولة. لكنّهم بعد هدوء هذه الثورة الاولى من فرحهم ارتأوا انّ الافضل لهم ان يقنعوا بما يتمتعون نظام لبنان الدوليّ منذ سنة ١٨٦٠ من الامتيازات والانعامات تعدلوا عن متابعة الحكم الدستوريّ

راتب باشا مشير العساكر اليمنيَّة فدارت عليه الدوائر وقُبض عليه فأُرسل كأسير الى الاستانة (Etudes, 20 *Janvier* 1909, p. 199)

وفي يوم الخميس ١٧ كانون الاوَّل كان افتتاح دار الندوة في عاصمة المملكة بحضور ١٥٠ مندوباً من المبعوثين وممثلي كلّ الدول فتُلي على مسامعهم خطاب الحضرة السلطانيَّة وكان جلالتهُ حاضراً تلك الحفلة في مقام أُفرز لهُ . وفي ذلك اليوم جرت مجالي الافراح في كلّ انحاء الدولة

على انَّ تلك الافراح الدستوريَّة لم تبقَ في صفائها زمناً طويلاً . فما كادت جمعيَّة الاتحاد والترقي تُعلن بالدستور حتى غامت سماء السياسة الدوليَّة . ثمَّ سُمعت وراء السحاب زمجرة الحرب . ففي ٥ تشرين الاوَّل اعلن الامير فرديناند في ترنوفو عاصمة البلغار القديمة استقلال بلغاريا واتَّخذ لنفسهِ لقب القيصر ثمَّ ارسل رقيماً بهذه الى السلطان عبد الحميد ليبلّغهُ الامر رسميًّا . وكلّ يُعرف جواب الدولة العليَّة وما جرى من المقاولات بين البلادين حتى كادت تستعر بينهما نار الحرب . ثم بعد ان اوشكت الامور ان تصطلح بقبول بلغاريا ان تدفع لتركيا مالاً معلوماً يبلغ خمسة ملايين ليرة (خصصت منها روسيا دين تركيا لها) عاد التنور

وبعد الاعلان البلغاري بيومين ضمَّت النمسة الى بلادها ولايتي الهرسك والبشناق . فتصدَّت لها الدولة العثمانية واحتجَّت عليها مع دولتي الصرب والجبل الاسود لما في هذا العمل من الاجحاف بحقوق بلادها . وكانت ثالثة الاثافيّ بعد ذينك الحادثين انتباذ جزيرة كريد لدولة اليونان في ٨ من الشهر عينهِ

فاصبحت هذه الحوادث داعياً لاصطكاك الدول الاوربيَّة والمنافرات المتواترة بينها . فانَّ الدولة المسكوبيَّة لم ترضَ بعمل النمسة لاسيما بعد سفر وليّ عهد الصرب الى روسيَّة لكنَّ النمسة جاهرت باستيائها من جارتها وتلوَّمت منها . اما المانية فانها غالباً تعضد النمسة وان لم تصرّح بنيَّتها تماماً . ولما قدم المسيو اسڤولسكي الى برلين في ٢٩ تشرين الاوَّل لتسوية الامر رجع خائباً نزاد الخرق اتساعاً . وكانت العناصر المخالفة للنمسة تقوم وتقعد في مناواة الدولة النمسويَّة وعلى الخصوص الايطاليون والصقالبة . وتحفَّزت الصرب والجبل الاسود للقتال وارسلتا جنودهما على حدود النمسة فاسرعت النمسة واوفدت الى تلك التنور جيشاً خامرهُ الهلع اظنهُ بانَّ العدوّ احدق به

فرأى هارباً وعُزل من جرّاء ذلك قائدان. وزاد في الطين بلّة انّ المدن التركيّة صادرت البضائع النمسويّة فالحقت بتجارتها خسائر عظيمة وبقيت مطالبات النمسة دون جدوى. اما انكلترّة فراغبةٌ في الصلح وساعية في عقد مؤتمر لاصلاح ذات البين الّا ان النمسة لا ترضى به ما لم تكفّ تركيّا عن مقاطعتها واعلنت مع هذا بانّها لن ترجع عمّا سلف من امر الهرسك والبشناق. فترى من كل هذه الارتباكات انّ السياسة اليوم ملتوية معضلة لا نعلم ماذا يكنّ لنا الغد فالغد من اسرار العلم وما لا يرتاب فيه احد انّ دولتين قائمتان الآن بناصر دولتنا العليّة وهما فرنسة وانكلترّة وعليها تتّكل الممالك المحروسة لحلّ المسألة الشرقيّة كما انّهما التست منها رجالًا اكفاء لتنظيم بحريتها واصلاح ماليتها

وهذه الوقائع المستحدثة قد أنست بخطرها ما جرى بين الباب العالي وفرنسة من الخلاف بخصوص معادن هرقلة (١٦ أيار) ومظاهرات ايطالية البحريّة بسبب الراهب الايطالي الذي قُتل في طرابلس الغرب (٢٠ نيسان) وثورة اهل جزيرة ساموس على حاكمها من قبل الدولة العليّة

٤ لمحة في احوال بقيّة الدُّول

وبينما نشاهد تركيّا تحاول النهضة من خمولها وتجدّد شبابها نماين دولة العجم تناصب طالبي الدستور في تحوّلها. فانّ الشاه مُصرّ غاية استطاعته على رفض الحكم الدستوريّ فراشّ بفعله جناح الفتنة التي تفاقمت الى حدّ بليغ وقد قام في وجهه الرأي العام من وجوه الدولة وارباب الدين وكذلك ناهضته الصحافة الحرّة الوطنيّة والاجنبيّة معًا حتى فُقد الامان في طهران عاصمة الدولة وقدّم سفراء الدول احتجاجهم للمرجع الاعلى. وفي ٢٩ شباط ألقى الثائرون قنبلتين على الشاه فنجا منهما لكنهما ذهبتا بحياة كثيرين من حاشيته. ومع هذا لم يستسلم الشاه الى ارادة الجمهور. ولا يعلم احد الى ما ستؤول الامور. ومن المقرّر انّ مقاطعة اذربيجان وحاضرتها تبريز كادت تخرج من حكم العجم. فانّ الشاه اوفد لمحاربتها فرقةً من جنود الروس المحالفين يقودهم الكولونل اوتشاكوف فاطلق القنابل على المدينة والتحم القتال بين اهلها والجنود الموفدة وكثر الهرج والمرج حتى ظنّ البعض انّ روسيّة عزمت على التوسّط في العجم. امّا

روسيَّة فقد صرَّحت لانكلترَّة بانَّها لا تتداخل في تلك البلاد طالما لا يُصاب دورها بأذًى وقد الحَّت كلتاهما على الشاه بان يتسامح لرعاياه بالحكم الدستوري . لكنَّ الشاه حتى الآن لا يعيرها اذنًا صاغية

وقد حلَّت الثورة بممالك أُخرى فكانت الضربة قاضيةً على حياة اصحابها فمن ذلك المكيدة الفاجعة التي دهمت في اواخر كانون الثاني ملك البرتغال دون كارلوس . ففي ٢٨ نشر الحزب الجمهوري اعلانات مهيجة ضدَّ الملك في اسبرنة . وفي ٢٩ حصل في المدينة مشاجرات دمويَّة . ولم تلبث الانباء البرقيَّة ان نعت ملك البرتغال رابعهُ البكر اللذين قُتلا قتلًا وحيًّا في سلخ الشهر عينه

وقد اصابت اميركة سهمها من هذه الدقن . فان جمهوريَّة هايتي في غليان منذ شهر آذار والاهلون هناك يناوئون الاجانب ويعادونهم اشدَّ العداء . وكذلك ثارت الثوائر في بلاد مكسيك في غاية حزيران وفي الهند الصينيَّة ضدَّ الحكومة الفرنسويَّة وفي جهات هندوراس . ونلحق بهذه الأحداث انقطاع العلائق بين فنازويلة والولايات المتَّحدة (٢٤ تموز) وبينها مؤخرًا وبين هولندة التي تخفر سفنها الآن بحر الانتيل لتوقيف المراكب الفنازويليَّة . وكان رئيس تلك البلاد الذي كسترو قد هيَّج عليه خواطر الدول بصلفهِ وعنجهيَّتهِ واوردى زناد الدنش على الاجانب واليوم قد قلب هذا الرئيس عن منصبهِ وهو لا يزال يكيد المكايد ليعود الى رتبتهِ السابقة رغمًا عن مساوئهِ العديدة

*

(انكلترَّة والمانية) سبق لنا الكلام عنهما ونضيف هنا الى قولنا انَّ في العام الماضي حدث عدَّة حركات فوضويَّة في المانيَّة تكدَّرت لها الخواطر . ففي ١١ كانون الثاني جزت في برلين مظاهرات عنيفة من الاشتراكيين ومن جملة طلباتهم ان يُعطَى للجميع حقّ التصويت . وفي اثرها عُقدت في الرشتاغ جلسة تعنَّف فيها بعض اعداء الحكومة عليها حتى أضحى مقام انكنشلار المسيو دي بيلوف حرجًا جدًّا . وكأنَّ اصحاب هذا الهيجان كانوا اتَّفقوا مع رصفائهم في بلاد شتى ففي اواخر الشهر ذاتهِ حصلت في لندن وفي هنغارية حركات ثوريَّة كمثل المانية . بل ترى النساء انفسهن

اخذنَ يسعينَ بنوال حقّ الانتخاب وقد احتفلن لذلك بالحفلات العديدة والقين الخطب لتأييد مبتغاهنّ ولعلهنّ يدركن غايتهنّ

(بلجكة) توفّي فيها فجأة رئيس وزارتها المسيو دي تروس (de Trooz) في غرّة السنة ١٩٠٨ وبعد اسبوع أقيم مكانهُ في رئاسة الوزارة المسيو دي شولارت (de Schollaert). وهو رجل ذو دين وخبرة محنّك بالتدبير — وفي ٥ آذار أمضى الملك ليوبلد قرار تنازله عن ملك الكنغو لمملكة البلجيك ثمّ قدّم صكّ عهده لمجلس الدولة الذي بعد المفاوضات الطويلة صادق عليهِ ثمّ رضي بحكمهِ مجلس الاعيان في ٩ ايلول وعلى هذه الصورة انتهت مسألة الكنغو التي كانت بلغت منذ سنة حدود التوتّر وكثيرًا ما اضحت سببًا للمشاجرات وزواجر الخطب. ومنذ تنازل الملك عن حقوقهِ لدولتهِ اخذ اهل بلجكة يعيدون بالًا تلك المستعمرة التي صوّب اليها اعداؤهم سهام الملام وقرّعوهم بسببها تقريعًا فحشًا كما انهم نسبوا زورًا للمرسلين الكاثوليك اعمالًا لم يأتوها البتّة وذلك كلّهُ لغايات دنيئة لينتزعوا مستعمرة الكنغو من ايدي اهل بلجكة الكاثوليك. وقد افادنا الثقة بانّ الحركة الصناعيّة في بلجكة نمت نموًّا عجيبًا منذ استملك الملك ليوبلد على الكنغو حتى اضحت تلك الدولة في مقدّمة كلّ الدول بصناعتها ومعاملها وبالخصوص بانشائها لشركات الترواي والسكك الحديديّة في كلّ انحاء المعمور. وكانت عين انكلترة طامحة لتلك البلاد لوقوعها في طريقها بين السودان وجنوبي افريقية لكنّها زهدت عنها مرغومة

(فرنسة) انّ احوال فرنسة التي خلَل من عدّة وجوه. فانّ السُّنَن السيئة التي يشترعها المبعوثون كثيرًا ما تبخس حقوق الدين وتزيد الاحوال السابقة تفاقمًا. ولا بدع انّ النكبات التواترة التي ابتلي بها الله هذه الدولة من علامات غضبهِ عليها لابتعادها عنهُ في حياتها العموميّة. فمن الرزايا التي دهمتها في السنة المنصرمة عدّة خطوب نابتها في بحريّتها كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن مراكش يُضاف اليها حريق طولون في ٢٣ ك ٢ الذي بهِ تلف قسمٌ من الذخائر البحريّة. فكل هذه الدواهي أدّت الى استعفاء وزير البحريّة المسيو تومسون في ٢٠ تشرين الاوّل بعد المداولات العنيفة في دار الندوة. وزد على ذلك انّ اميرال اسطول البحر المتوسّط المسيو جرمينه (Germiney) عُزل من رتبتهِ لاعلانهِ بما صارت اليهِ البحريّة الفرنسويّة من التقهقر

والتأخر في تجهيز اسلحتها . امّا الجيوش البرّية فقد تكرّرت فيها حوادث التشغب والعصيان التي يحرّض عليها قوم من الفوضويين المضادّين للجندية . وقد مرّ بك ما حدث من ذلك في البيضاء

وفي ٢٠ شباط افتُتحت دعوى الضابط اليهودي اولو الخائن لوطنه بما اباحهُ من اسرار الجندية . فحُكم عليه بان يُخلَع عن رتبته ويُجرَّد من بزّته العسكرية ثمّ يُحبس الى نهاية حياته في جزيرة الشيطان . ولمّا استأنف دعواهُ لم تقبل الحكومة احتجاجهُ بل انفذت فيه الحكم في ٢٣ آذار فكان لهذا المثل اثر طيّب في الجيش . على انّ الحكومة لم تلبث ان تطمس معالم هذا الفعل الحسن بفعل آخر اثيم وهو امرُها بنقل رفات ذلك الكاتب النجس اميل زولا الى البنتيون مدفن مشاهير فرنسة وزولا كما هو معلوم كان المدافع عن الخائن اليهودي دريفوس . فعوّلت الوزارة على تنفيذ هذا الامر في ٢٢ آذار الّا انّ كلّ النفوس الابيّة ومحبّي الوطن ناصبوا هذا الحكم مناصبة الابطال فانتظار ارباب الامر شهر حزيران لنقل تلك الرفات سرًّا . الّا انّ هذه الحفلة وان سرّيّة اثارت في قارب كثيرين شواعر الأنفة والنخوة حتى انّ احد الوطنيين الاحرار المسمّى غريغوري اطلق سلاحهُ على دريفوس اذ رآهُ ماشيًا في تلك الحفلة

ومن الآفات التي دهمت فرنسة نقصٌ في تجارتها بلغ في تموز اي نصف السنة ١٣٦ مليونًا من الفرنكات للواردات و ١٧٥ للصادرات . وكذلك حصلت عدّة إفلاسات اخصّها عجز محلّ روشات (Rochette) الذي ناهز ٨٠ مليونًا وحريق مكتب الاسلاك التلفونيّة في ٢٠ ايلول . ولم تختصّ فرنسة وحدها بهذه الازمات المالية فانّ دولًا أخرى أصيبت بمثل مصائبها لاسيّما في اشغال المعادن والمناجم كالمانية وانكلترّة وروسيّة وبلاد ترنسفال . فيا حبّذا لو تدارك أولو التدبير هذه البلايا التي توالت على مالية البلاد فاحلّت بها اضرارًا لا تُحصى

ونلحق بهذه النواجع التي رُزئت بها فرنسة فَقْدها لبعض ائمّتها وغرّة بلادها منهم العلّامة المبرّز بالعلوم الجيولوجيّة المسيو دي لاپاران (de Lapparent) كاتب اسرار اكادمية العلوم واحد اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس . وتآليفهُ العديدة تُعَدّ حجّةً يُستند اليها ويوثق بها وكان المذكور مثالًا حيًّا لاتّفاق العلم والدين في خدمة

الوطن. كانت وفاتهُ في ١ أيار. وبعد زمن قليل أُصيبت العلوم الطبيعيَّة بملَّامة آخر كان تعيَّن كخلف للسير دي لاپاران في اكادمية باريس وهو هنري بكريل (H.Becque-rel) الشهير باكتشافاتهِ المتعدِّدة عن خواصّ النور واشعَّة الراديوم والعناصر المشعَّة. وفي ٢٩ منهُ جرى لفرنسة رزء ثالث بوفاة شيخ شعرائها فرنسوا كوپه (Fr.Coppée) الذي مات ميتةً صالحةً بعد احتمالهِ بالصبر الجميل لمخض الاوجاع في مرضهِ الاخير وهذا الشاعر كثيرًا ما دافع بقصائدهِ الرنَّانة عن الدين وآلهِ. ومن اموات العام الماضي ذوي الشهرة السير هنري كمبل بنرمان (Sr H. Campbell Bannerman) احد ارباب السياسة الانكليزيَّة توفي في ٢٢ نيسان في ٧٢ من سنهِ

(النمسة) ومن الاحداث السارَّة التي قشعت شيئاً من الغيوم المتلبِّدة فوق سماء النمسة العيد الالماسي لامبراطورها فرنسوا جوزيف اقامتهُ ذكرًا لبارغهِ السنة الستين من ملكهِ (١٨٤٨ — ١٩٠٨) فعمَّت الافراح كلّ انحاء الدولة. وكان بدء الحفلات الرسميَّة في ١٢ حزيران في عاصمة الملك. وفي ١٨ آب يوم تتويج الامبراطور بلغت المظاهرات اقصى مبلغها وكانت الجموع تتزاحم في طريق زعيم المملكة حتى كانت تُرمَى كالبناء المرصوص حتى قُتل البعض من كثرة الازدحام

(الولايات المتَّحدة) كانت اميركة الشماليَّة في حركة واضطراب تنتظر خاتمة لرئيسها روزفلت الذي كانت انتهت مدَّة رئاستهِ. فكانت نتيجة الانتخابات العموميَّة تولية السير تافت (Taft) في ٣ تشرين الثاني وتعيَّن كنائبهِ السير شرمان (Sher-mann) والرئيس الجديد صديق السير روزفلت واحد انصارهِ لا يكاد يخالفهُ في خطَّتهِ السياسيَّة. والامل معقود بتقدُّم الولايات المتَّحدة في عهدهِ

هذا وكان بودّنا ان نلحق نظرنا السياسيّ بلمحة عامَّة عن ترقّي العلوم في السنة ١٩٠٨ الَّا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ فرجاؤنا من ادارة المجلَّة ان تفرد لهذا الامر باباً خاصًّا في بعض اعدادها كعادتها المألوفة حينًا بعد حين

على انَّا لا نقدر ان نسكت عن مؤتمرين علميَّين عُقدا في اواسط الصيف في شهر آب اوَّلهما مؤتمر الدروس التاريخيَّة الذي يُعقد كلّ خمس سنوات فعُقد السنة الماضية في برلين. ثمَّ مؤتمر المستشرقين الذي جرى بعدهُ بيومين في كوپنهاغ حاضرة دنيمرك.

لكنّ المشرق سبق ودوّن تفاصيلهما في عدده الصادر في تشرين الاوّل عن لسان احد الوفدين من قبل مكتبنا الشرقيّ فأغنانا عن المراجعة

وليسمح لنا القرّاء بان ننتهي من هذا النظر الاجمالي بكلمة نجعلها كسلك ختامه. لا غرو ان المطّلعين على الماجريّات العديدة التي استوقفنا عندها الانظار يردّدون قول سفر الجامعة (١١:٣) انّ الله قضى على ارضه التحوّل والتغيير ولا غرو فانّ الممالك دُوَلٌ كاسمها افلا يحقّ بالانسان أن يرفع بنظره الى ما فوق اعلى واسمى من هذه الارضيّات لتأبيها وزوالها فيوطّد آمالهُ في دار القرار لدى ذاك الربّ العظيم الذي يضبط كلّ الدول في قبضته ولهُ في تصرّفها الحكم الاخير. فاذا قرّت النفس في هذا الركن الثابت استترت لديها احوال الدنيا فلمحتها بنظر هادئ وعين قريرة لأنّها تعرف انّ لا شيء يجري في عالم الزوال بغير علمه تعالى وهو يدبّر كل الامور لمجده وخير مختاريه. وان أحدرت النفس نظرها من تلك المشارق العليا الى الارض رأت في وسطها قبّةً تحلّق في الهواء كالنسر المرتفع ألا وهي قبّة كنيسة بطرس هامة الرسل في الفاتيكان فهذه قبّة السلام يسكن مجوارها شيخ وقور يمثّل ملك الدهور وربّ الارباب. فمن جرى تحت رايته امن الضلال ومن سمع منهُ اصاب الامان لأنّهُ هو سفير الله السلام الذي عند ولدهِ صرخت الملائكة: المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام لمن فيهِ المسرّة

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ التمدّن

التمدّن احدى الالفاظ التي تتلاعب اليوم بالعقول وتُفتن بها الالباب. تكرّرها المنشورات العامة ويردّدها الخطباء وتتلقفها الافواه. فكأنّ في ايرادها غنًى عن كل ايضاح وتبيان. وان سألت الذين ينطقون بهذه اللفظة السحريّة ان يوضحوا لك بمعناها ويعرّفوا فحواها اجابوك بازدراء ما الحاجة الى تعريف ما يدركهُ الجميع وكادوا يقرّفونك

بجواب تلميذي عماوس للسيد المسيح لمَّا سألهما عن الكلام الذي يتحاوران به (لوقا ٢٤: ١٨): « أأنت وحدك غريب في اورشليم » كيف لا تعلم ما هو التمدّن . وأن الحتَ عليهم وتخفّيت في السؤال رأيتهم يتلجلجون و يرتابون فيأتون بالاجوبة المتناقضة التي لا يُعبأ بها ولعلّهم ينتهون بنسبتك الى الجهل والغباوة وينظمونك في سلك المتأخرين وذوي الروح العتيق

ولأن هؤلاء « المتنوّرين » لم يستطيعوا ان يأتونا بكلام وافٍ ولا جواب شافٍ دَعْنا نسبر غور هذه اللفظة الدارجة على ألسنة الجموع فنستكشفَ ما وراءها من الاسرار المكتونة والكنوز المدفونة

*

التمدّن لفظة لم ترِدْ في كلام قدماء العرب في الجاهلية ولدأيهم لم يعرفوها لرضاهم بعيشة البادية . فكانوا اذا قصدوا المدن لم يتأثّروا فيها الّا ريثما يقضون اشغالهم فيسرعون الى التبدّي لأنهم كانوا يرون نفوسهم اذا ما احتُبِسوا المدن المحضَرة بمثابة السمك في الهواء والطير في الماء . وقد سبق حضرة الاب لامنس في مقالته عن البادية والحيرة (في المشرق ١١ : ٧٦٥) فبيَّن ما اصاب العرب من البلاء بعد الفتح الاسلاميّ لسكناهم في المدن وكم احتاج الخلفاء الراشدون الى ان يشتدّوا عليهم لئلّا يعودوا الى بدوهم فيتركون المدن خاليةً معرَّضةً لغارات العدوّ . وكان اذا ندَب احد اهل البادية يخشونة العيش وسكناهم في القفار مع الوحوش اجابوا مع النعمان بن المنذر على كسرى أنهم آثروا العيشة البدويّة لعزّهم ونخوتهم فجعلوا حصونهم ظهور خيلهم ومهادَهم الارض وستوفهم السماء وجُنَّتهم السيوف وعدَّتهم الصبر على خلاف غيرهم من الامم الذين جعلوا عزّهم في الحجارة والطين اي البيوت والقصور

ولكن ما لنا والجاهليّة فانّ التمدُّن اليوم اشهر من نار على علَم ولا بُدَّ انّ واضع هذه اللفظة وان مولّدةً جعلها اسماً لمسمًّى شريف . فالتمدُّن من حيث اللفظ الدخول في المدن والاقامة فيها كما يقال تبدّى الحَضَري اذا اقام في البادية . امّا المعنى الاصطلاحيّ فالمراد به لاوّل وهلة الاقتداء باهل المدن والتزيّي بأزيائهم والتخلّق بأخلاقهم والاقتباس بآثارهم

فما هي رعاك الله تلك السجايا التي خُصّ بها اهل المدن حتى تفاخروا بها على من

سواهم . ليس الجواب على هذا بامر سهل فان كثيرين يظنون ان صفات التمدن تنحصر في بعض ظواهر الانس والتأدب في الحياة الاجتماعية اصطلح عليها اهل المدن في معاملاتهم اليومية كأكلهم وشربهم ولبسهم ومبيتهم واستقبال بعضهم لبعض الى غير ذلك من العادات التي ألفها اهل المدن . ونحن لا ننكر انها تدخل في خواص التمدن لأن سكان المدن بوفرة عددهم وتباين غايتهم واحتياج بعضهم الى البعض الآخر وتضافرهم في الاشغال وطول ائتلافهم على شؤونهم واخلاقهم قد يصبحون ألين عريكة وادمث اخلاقاً فتكرم شمائلهم وتشرف شيمهم ولكن ليس على هذا يتوقف التمدن وربما كانت ظواهر الانس في القرى ارق والطف منها في المدن لاسيما ان القرويين لسذاجتهم اسلم طوية واخلص نية واصدق لهجة فلا يتراءون بما ليس فيهم ولا يعرفون التأنق الكاذب والمداهنات الخادعة

ومنهم من يجعل التمدن في حرية الفكر وحرية السلوك وحرية القول والياع فيستسلم الانسان الى كل اهوائه ويستبد بآرائه ويطلق لشهواته العنان في نبذ كل حاجز او سلطة تعوقه في رغائبه . فينقاد لما يفسد الاخلاق وينتهك حرمة الآداب ويقتحم ذرى الشرائع ويسوغ لنفسه ما لا يحلله الدين او الضمير فهذا هو على زعمهم التمدن يبنون عليه مبادئهم السيئة ويصوبون بسهامهم الى من لا يوافقهم على مذهبهم

فلعمري ان كان هذا هو ما يدعونه تمدناً فان الهمجية تفضل عليه لأن الهمج اذا ما أتوا افعالاً قبيحة واجترحوا الآثام وارتكبوا المحظورات انما يعذرون لجهلهم وانشوتهم على الاخلاق الشرسة وانطباعهم على الملكات السيئة . اما المتمدنون الذين انكشف الباطل عن بصائرهم وتمحص لهم الحق ورضوا الفاريق الأدب فاي عذر يقبل لهم اذا طمسوا نور عقلهم ونقضوا اركان الهيئة الاجتماعية المبنية على العدل والصلاح ومراعاة السنن الألفية والشرائع المدنية وطاعة الانسان لربه ولرؤسائه واحترامه لنفسه والقيام بحقوق قريبه

وليس بأقل من هؤلاء شططاً وضلالاً الذين يجعلون مناقضة بين الدين والتمدن فيذهبون ان التمدن يقوم بالفضائل الطبيعية والصفات الألفية الرضية بيد انهم يفرزون عنها الدين كأن التمدن يمكنه ان يثبت بلا دين فيجهلون انهما كاخوين شقيقين او بالاحرى كالنفس والجسم لا ينفصلان الا لتعطبهما . وان المستقيم اذا

تأصّل في القلب اثمر المدنيّة لا محالة. اما التمدّن فانهُ يزهق اذا ما فارقهُ الدين فيُصبح كالجثّة الهامدة التي لا تلبث ان تتحلّ وتفسد بانفصال النفس عنها .

فكلّ هذه الاوهام التي غلبت على عقول بعض المحدثين في عصرنا قد صوّرت التمدّن في مخيّلتهم على غير صوابه فيتحتّم علينا ان نبيّن حقيقتهُ واقسامهُ وشروطهُ لئلّا ينخدع اهل بلادنا ببهرجة هذا الاسم ويحملونهُ على غير معناهُ فنقول:

انّ التمدّن تعريب لاسم شاع عند الغربيين منذ اجيال عديدة (civilisation) يوافقهُ عند العرب اسم الحضارة ولفظ العمران . واوّل من استعمل هذه اللفظة بين العرب كَتَبة القرون المتأخرة من اهل الاندلس كابن خلدون في مقدّمته والمقري في نفح الطيب . ثم تواتر استعمالها حتى دخلت اليوم في اللغة . فمعناها اللفظي قد اتّضح لك في ما سبق بل وقفت على معناها الاصطلاحي القريب . فبقي ان نعرّفها تعريفاً تامّاً مستوفياً لمعناها الشائع اليوم بين اهل النظر

يُحَدّ التمدّن بمجموع النظامات المدنيّة والسياسيّة والدينيّة التي تستعين بها الامم لبلوغ غايتها في خدمة هيئتها الاجتماعيّة وخدمة افرادها المادّيّة والادبية

وليس التمدّن سوى احدى خواصّ الطبيعة البشريّة التي انشأها الله لتعيش بالالفة فتقوى بالاجتماع وتسدّ حاجاتها بضمّ القوى وتقرّب اليها وسائل المعاش بتقسيم الاعمال وتردّ عنها ما يتهدّدها من الآفات وتنمو وتترقّى في الكمال . وقد كذب الذين زعموا بان البشر كلّهم ابتدأوا بالعيشة البدويّة فكانوا يعيشون على شبه الوحوش في الغابات والكهوف . على اننا نسلّم بانّ العيشة الالفيّة اختلفت درجاتها وتنوّعت على حسب البلاد وطوارئ الزمان فانّ البشر الاوّلين كانوا اذا احتلّوا ارضاً جديدة وهم قليلو العدد يحتاجون الى القوت القريب بصيد الوحوش واكل الاثمار والبقول . ويتّخذون من الكسوة ابسطها واخشنها كجلود الحيوان . ويبنون من المساكن اقلها مؤونةً وشغلاً كالاكواخ وربّما اتّخذوا الكهوف الطبيعيّة والمغاور اذ هي تغنيهم عن غيرها وتحرزهم من الضواري التي كانت في اطوار العالم الاولى اعظم اجساماً واشدّ قوّةً واكثر عدداً منها في يومنا كما تدلّ عليه هياكلها المكتشفة في عهدنا . وكذلك كانت احوال كرتنا في تقلّب وتحوّل وقشرة الارض اذ ذاك ارقّ واسرع تخرّقاً فتتوالى الزلازل وتنفجر النيران الداخليّة من البراكين ويكثر طغيان المياه وتشتدّ الاتواء فكلّ

هذه الاحوال كانت تضطرّ طوائف من الناس الاوّلين الى احوال من المعاش اقرب الى البداوة منها الى الحضارة

على انّ ذلك لم يعمّ البشر اجمعين فانّ منهم من احتلّوا بلادًا مخصبة متوفّرة الخيرات كثيرة المرافق يغلب عليها اعتدال الشتاء والصيف كوادي دجلة والفرات وكوادي النيل. فانّ اهل تلك البلاد اسرعوا الى توفير وسائل الالفة فمصّروا الامصار وابتنوا المدن والمنازل الرحبة والقصور الشاهقة التي اكتشف عليها الاثريّون بالحفريّات المتعدّدة منذ خمسين سنة وهي تُرقّى الى اطوار البشر الاولى وليست آثارها الهندسيّة والصناعيّة دون آثارنا بل يأخذ العجب من دقّتها وحسن صنعها الذين يزورون المتاحف الاثريّة وفيها من تلك البقايا اشياء كثيرة قد فقد اليوم سرّ اصطناعها

وان القينا النظر الى تلك الامم العظيمة التي قامت في سالف الاجيال كالبابليين والعيلاميين والكلدان والمصريين والصينيين والفرس واليونان والرومان وجدنا لهم تمدّنًا واسعًا تشهد عليه تواريخهم وآثارهم التي صبرت على آفات الدهر. فلا يسعنا الّا أن نقرّ لهم بالحضارة والعمران

نعم انّ تمدّن تلك الامم الغابرة لم يشبه تمدّننا الحالي بيد انّنا لا نستطيع ان نقيس نظاماتها بنظاماتنا لا سيّما انّ التمدّن العصريّ من حيث مبادئه الادبيّة قد تشرّب اصول الدين النصرانيّ شاء ام أبى وهذه الاصول كما لا يخفى كانت الشعوب القديمة تجهلها فلمّا شاعت بين الامم المتأخرين اجمع اصحاب الرأي السديد على ترجيح تمدّنها لكنّ الفضل ليس للهيئة الاجتماعيّة الحديثة وانّما هو للدين الذي منهُ استعارت هذه المبادئ الشريفة فجرت عليها وامّ بعض هذه الامم نسيت فضل الكنيسة مربّيتها كما يفعل الاحداث الذين يلطمون ظئرهم باليدين بعد ان رضعوا حليبها

فاذ انكشفت لك حقيقة التمدّن وتباينت طبقاته بين الامم يسوغ لنا بأن ندخل في قلب المسألة ونبيّن بايّ شيء يقوم التمدّن بوجه الاجمال فنفرز بين البلاد المتمدّنة وغيرها

انّهُ لمن المقرّر الاكيد انّ المجموع العمرانيّ لا يثبت الّا بثلثة امور اذا اختلّ منها واحد تضعضع وتلاشى. فالامر الاوّل هناء عيش المرء في حياته المادّيّة والادبيّة. والثاني حسن مواصلاته مع ابناء جلدته. والثالث حظوته بنظام سياسي لائق

وتدبير موافق . فاذا كان انسان متمتعاً في بلدهِ بهذه الاشياء الثلثة عُدَّ بلدهُ متمدناً . ويكون التمدُّن ارقى او احطّ على قدر ما تتوفَّر هذه الامور او تنقص . فالامر الاوَّل يؤكد لهُ الهناء في عيشتهِ الفرديَّة . والثاني في عيشتهِ الاهليَّة والاجتماعيَّة . والثالث في عيشتهِ السياسيَّة والوطنيَّة

فالشرط الاوَّل للتمدُّن ان يجد الانسان ما يسدّ كلّ حاجاتهِ . ففي الانسان جسدٌ يحتاج الى ان ينشأ وينمو ويقوى ويردّ عنه الاضرار والآفات وكلّ ذلك لا يتمّ الَّا بتوفُّر اسباب المعاش من قوت وملابس وسُكنى وهذه المرافق المادّيَّة لا تُدرك الَّا بقوَّة حاكمة تنشط الاشغال وتوسّع نطاق الحرف والصنائع وتنهض بالزراعة من خولها وتوفّر وسائل المواصلات لإنفاق المحصولات او استجلابها . ثمَّ للانسان عقلٌ غريزيّ اذا لم يثقفهُ بقي قليل الادراك لا ينتفع بهِ الَّا في اشياء زهيدة . وان هذَّبهُ ووسّع مداركهُ احرز بهِ منافع جمَّة . وذلك لا يُنال الَّا بانشاء المدارس والتعليم وضروب المكاتب للفنون الجميلة . وللانسان نفسٌ ناطقة شريفة قابلة للفضائل والأخلاق الحميدة والاميال الصالحة التي بها يزيد كمالهُ . فلا بُدَّ لهُ من إمام يرشدهُ ورئيس يهذّبهُ فيجرّدهُ عن ملكاتهِ المنحرفة ويزرع في قلبهِ العادات الحسنة . وكلّ ذلك مما لا يتوسّل بهِ الانسان الَّا بدين يهديهِ الى الصلاح ويردُّهُ عن القبيح

والشرط الثاني للتمدُّن انما يتوقَّف على المواصلات التي تجمع اهل كلّ بلدٍ بعضهم مع بعض . لأنَّ الانسان من حيث هو عضوٌ من اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة يرتبط بقريبهِ كما يرتبط قريبهُ بهِ فهو كحلقة من تلك السلسلة العظيمة التي لا تسقط احدى حلقاتها الَّا بانفصام السلسلة وانقراطها . ومن هذا القبيل يعيش المرء عيشة بيتيَّة تربطهُ باهل بيتهِ من والدين وزوجة واولاد . ويعيش عيشة مدنيَّة مع اهل بلدتهِ فيخدمهم ويخدمونهُ ويعاملهم ويعاملونهُ . ولا بُدَّ لكلّ ذلك من سلطة حاكمة ترعى الحقوق وتجري بالعدل والانصاف ولا تحابي بالوجوه وتأخذ بناصر المظلوم على الظالم ليقوم كلّ انسان بواجباتهِ المفروضة عليهِ ولا يتعدّى على حقوق جارهِ . وكذلك في المجتمع البشري من أُصيب بآفة في جسدهِ او مالهِ فلا يمكنهُ ان يقوم بحاجتهِ فمنهم المرضى والعجزة واليتامى والفقراء فيقتضي لكلّ هؤلاء مساعدون يُعنَون بحاجاتهم . فيعيّن الرؤساء مَنْ يهتمّ بامرهم لئلَّا تودي بحياتهم آفات الدهر

والشرط الثالث للتمدُّن أن يأمن اهل بلدٍ على صفاء عيشتهم من اهل بلدٍ آخر فيسدُّون ثغوره ويجاوزون لهُ الحامية في وجه اعدائهِ ثم ينظّمون لهُ النظامات العموميَّة والمشروعات الوطنيَّة ويرتّبون لكل ذلك المالية الكافية فتُجتبى الاموال وتوزَّع على مقتضى الحاجات. وذلك كلّهُ لا يستغني عن هيئة تدبيريَّة من رئيس ومرؤوس ومدير ومأمور مهما اختلفت الهيئة الحاكمة من سلطنة او ملك او مشيخة او جمهوريَّة. وبذلك تقوم العيشة السياسيَّة التي تجمع كل افراد الوطن فتجعلهم جسماً واحداً ادبيًّا مستقلًّا بذاتهِ كافيًا لنفسهِ ممتازًا عن غيرهِ

فهذه هي شروط التمدُّن الصحيح فان اردت ان تعرف اي بلدٍ من البلاد يتمتَّع بهِ او يخلو منهُ فانظر أهو حاصل على هذه الشروط التي وصفناها ام لا وتكون درجة تمدُّنهِ على قدر حصولهِ عليها ورسوخ قدمهِ فيها

والحقّ يقال ان الدول النصرانيَّة الاوربيَّة قد جرت بموجب هذه الشروط اكثر من سواها وفي هذا سرّ نجاحها وتقدّمها فانها بنظاماتها وسُنَنها وشرائعها قد ضمنت للافراد الحياة الهنيئة بحيث يجدون على وجه الاجمال سعادتهم المادّيَّة والادبيَّة في المشروعات المدنيَّة التي سنَّتها تلك الامم سواء كانت لقوام معاشهم او لتهذيب عقولهم بانشاء المدارس لاصناف العلوم وضروب الفنون او لتثقيف طباعهم واصلاح نفوسهم بمساعدة ارباب الدين وكذلك عرفت تلك الدول أن تؤلف بين طبقات الناس وتؤدي لكل ذي حقّ حقوقهُ فتساوي بين الصغير والكبير وتنتصر للضعيف على القويّ ولا تسهو عن المكروبين وتقيم للمرضى مستشفيات عامَّة وللصغار ميتام وللعجزة مأوى وللفقراء ملاجئ. كما انَّها بدساتيرها وقوانينها تفكّر بتعزيز جانب الوطن ورفع شانهِ والذبّ عن حقوقهِ وتوفير ماليَّتهِ وتوسيع نطاق اعمالهِ التجاريَّة والزراعيَّة والاستعماريَّة

اما مصدر هذا التمدّن الحديث الذي رفع باوربَّة الى هذه الرتبة السامية فهو بلا مراء الدين المسيحي كما يقرّ بهِ كلّ المتنزهين عن الاغراض. وان تعقَّبتَ الشروط الثلاثة التي سبق لنا ذكرها وجدت انَّ للكنيسة في تحقيقها السهم الاعظم. فانَّ الكنيسة بمشروعاتها الاهليَّة والمدنيَّة والادبيَّة هذَّبت الدول الاوربيَّة وبلَّغتها اوج فخرها بعد ان عطفت عليها في مهدها كالأمّ الرحوم وسهرت على شبابها

فخذ مثلًا العيشة المادّيَّة فلا يستطيع احدٌ ان ينكر انَّ الكنيسة برهبانيَّاتها منذ

القرن الخامس قد طوّقت اوربّة منناً لا يفي بها شكر فانّ الجمعيّات الرهبانيّة وجدت قبائل البرابرة قد انقضّت على تلك البلاد انقضاض الكواسر لا تعيش الّا من الغزوات والصيد فاخذت تعلّمها ضروب الصناعة ولاسيما الحراثة حتى انّ رهبانها كادوا يحرثون اربعة اخماس اوربّة كلّها وكانوا هم يعيشون عيشةً قشفة يرضون باليسير الزهيد ويقضون معظم سنتهم صوماً فيرزّعون على الفقراء والبائسين ما تغلّ الاراضي المستقيّة بعرق جبينهم. وكان الناس يقبلون الى اديرتهم و يسكنون بجوارهم ويتعلّمون منهم شغل الزراعة والبناء فيعمّرون المساكن ويخضرون الامصار. ولو اردنا ان نعدّد المدن الاوربيّة التي ينتمي اصلها الى الجمعيّات الرهبانيّة لاضاف جدولها على عدة صفحات

وكان من هذه الجمعيّات الرهبانيّة طوائف تختصّ بفنّ البناء. وغيرها يدّ الجسور على الانهار ومنها ما كان يهتمّ بالصنائع الميكانيكيّة او بنسخ الكتب ولولا الرهبان لفقد العدد الاوفر من آثار حكمة اليونان واعمال الرومان كما تشهد على ذلك خزائن الكتب الاوربيّة

وان اعتبرت حياة الانسان العقليّة والعلوم وجدت انّ الكنيسة وحدها نجّت المعارف البشريّة من غرقها لمّا زحفت برابرة الشمال على اوربّة فصانتها في اديرتها وجعلت كل دير منها معهداً للعلوم والفنون الجميلة فكانت تُقبل اليها الطلبة افواجاً. ولمّا هدأت الحروب وعاد السلام الى الدول في القرون الوسطى انشأت الكنيسة في ايطالية وانكلترّة والمانية وفرنسة تلك الكليات التي تخرّج فيها كل مشاهير العلماء في تلك الاعصار. وكانت عدّة رهبانيّات جعلت التعليم وتهذيب الشبيبة من اخصّ فرائضها كالرهبانية البندكتية والرهبانية الدومنيكية والرهبانية الفرنسيسيّة ومن بعدها الرهبانية اليسوعية. ولا نجد علماً من العلوم البشرية الّا ولابناء الكنيسة فيه مئون من التآليف وقد سبق لنا في المشرق (٦ : ١٥) ردّاً على مجلّة مصريّة مقالة « في الكنيسة والعلوم الفلكية » فقس عليها بقية العلوم. وكلّ ذلك قبل انشاء الدول لمدارسها الوطنية بزمن طويل

اما حياة الانسان الادبيّة فلا نظنّ احداً ينكر علينا انّ ما يمتاز به التمدّن المصريّ من جهة الآداب انّما استقاهُ كلهُ من تعاليم الكنيسة حتى قال الفيلسوف البروتستاني گيزو (Guizot) ان التمدّن الفرنسويّ كلهُ الذي فاق على تمدّن بقيّة

الامم انما كان عمل الاساقفة وهم الذين اصطنعوا فرنسة كما تصطنع النحل خلاياها . وما ليت بعض الدول تبالغ اليوم في اقتباسها عن الدين مبادئهُ فانها لو فعلت لزادت في سعادة رعاياها وأمنت هي المشاغب والفوضى وكل الاخطار التي تتهدَّد المجتمع البشريّ بتناقص الدين لانَّ التمدّن الصحيح يقوم بالآداب اكثر منهُ بوفرة الاسباب الماديَّة او بترقي العلوم نفسها . ولا أدب بلا دين . فان شئت ان تعرف الدرجة التي بلغها احد البلاد في سلَّم التمدّن فانظر الى آدابهِ ودينهِ وان رأيت الآداب فيهِ قد تقهقرت وحبل الدين في انتقاض فتحقَّق انَّ تمدّنهُ في هبوط وسوف يعود قريباً الى الهمجيَّة . ويسرّنا ان نختم هذا الفصل الوجيز بنقل ما كتبهُ في هذا الصدد احد مشاهير وطننا المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف حيث قال وفي قولهِ تأييدٌ لكلامنا السابق :

هو مقرَّر انَّ الدين ليس هو التمدُّن . . . ولكن ان لم يكن هو التمدُّن فهو مبدأ التمدُّن فانهُ ومن الواجبات التي يفرضها والغاية التي يبتغيها للحياة البشريَّة والنسبة التي يضعها بين الاجناس والرتب والشعوب وبالاختصار من تعليمهِ الادبيّ تنبجس ينابيع النظامات والاخلاق اكثر مما سواه

ثم قابل بين تمدّن الشعوب القديمة التي كانت قبل المسيح والشعوب المسيحيَّة التي أنشئت وفقاً لانجيلهِ المقدَّس فقال :

وبالاختصار فكلّ التمدُّنات التي كانت قبل المسيح تشابه هذا اي باناً تنكر المساواة الاصلية في الناس . واليهود انفسهم الذين كان عندهم مستودع الحقائق الادبية والدينية لم يكونوا يقبلون المساواة الَّا في دائرة ضيقة تجاهها عديمة الجدوى . اما اساس الادب الديني الان فأخويَّة الناس جميعاً الذين خالقهم واحد وهو الله وابوهم واحد ونفوسهم متساوية وهم اعضاء عائلة واحدة متفرّقون . وهذا هو حاجزٌ لا يُجتاز قائمٌ بين التمدُّن القديم والتمدّن الحديث الذي ينبوعهُ الانجيل والذي نحاسهُ كلُّهُ قد ثبت لسرعة نقل متيقظة الاخاء الدينيّ من الكنيسة التي علَّمت بهِ الى المملكة التي تقربهُ وتمضدهُ فهذا هو غاية مبادئ التمدُّن التي سادت وتسود الى الآن بين الناس

فيا حبَّذا لو ادرك اهل بلادنا هذه القضايا فلا ينخدعوا بظواهر التمدُّن وقشرتهِ دون لبهِ وحقيقتهِ . فهيهات ان تدعى متمدّنين باستعارتنا من الاجانب مجازفةً بعض عاداتهم السيئة كالازياء (المودات) والمراقص والمراسح الخلاعيَّة والروايات البذيَّة والمضاربات التجاريَّة فكلّ ذلك والتمدُّن على طرفي نقيض . وقد وضع السيد المسيح الاساس الاوَّل للتمدُّن بقولهِ عزَّ من قائل (متى ٦ : ٣٣) : « اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرَّهُ وهذا كلُّهُ يزاد لكم »

مطبوعات شرقية جديدة

STUDIA SYRIACA, fasc. III: Vetusta Documenta Liturgica primo edidit, latine vertit, notis illustravit IGNATIUS EPHRAEM II RAHMANI PATRIARCHA ANTIOCHENUS SYRORUM. *Typis patriarchalibus in Seminario Scharfensi de Monte Libano,* 1908 pp. VIII-98-∞

آثار طقسية قديمة في السريانية

هو مجموع نفيس اودعهُ غبطة السيد الجليل اغناطيوس افرام الثاني الرحماني البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك خمسةً من الآثار السريانية القديمة. ونحن نتكلم عنها في عكس ترتيبها لنجعل اولها سلك ختامنا. فنقول: انَّ الأثر الخامس يحتوي اربع قطع صغيرة من ميامر (λόγοι ἐπιθρόνοι) ساويرس الانطاكي زعيم البدعة اليعقوبية فيها افادات طقسيَّة وتاريخيَّة خطيرة شوَّقتنا الى نشر باقيها الموجود في مخطوطات الفاتيكان. اما الأثر الرابع فيشتمل على رسالة لانثيموس بطريرك القسطنطينيَّة الى يعقوب البرادعي بكتبي مرتاب في صحَّتها لأنَّ انثيموس كان جالساً على كرسي القسطنطينيَّة سنة ٥٣٦ وفي هذا التاريخ ما كان لاحد من بطاركة القسطنطينية ان يكتب كتاباً للبرادعي وهو اذ ذاك راهبٌ خامل الذكر في دير فسأتا فيُعنونهُ بقوله: «الى حبيبنا يعقوب اسقف الرها». ثمَّ في موضوع الرسالة ما يزيدنا شكاً في حقيقتها فانَّ انثيموس يوصي يعقوب بان يُحسن اختيار المرشَّحين للاسقفيَّة ويختبرهم بحرص واعتناء. ثم يندد بالذين يُسرعون في تسقيف المرشَّحين مع قلَّة اهليَّتهم لهذه الرتبة السامية. فمحتوى الرسالة لا ينطبق مع حالة البرادعي. فلو صحَّت لاقتضى ان يكون تاريخها بعد ذلك بسنين اعني بعد سنة ٥٤٣ اذ سُقِّف البرادعي بحماية الامبراطورة تيودورا واخذ يتجوَّل في سوريَّة الوسطى ويطلب كهنةً من شيعته ليرسمهم اساقفة بدلاً من اولئك الذين تشدَّد عليهم الامبراطور يستنيان وقاهم. فلا بُدَّ ان تكون هذه الرسالة مصنوعة او تكون موجَّهة الى غير البرادعي. اما الاثران الثاني والثالث فدارهما على مواضيع تهذيبيَّة وطقسيَّة وكان فحواهما معروفاً في السابق الَّا انهما مفيدان لبيان القوانين الشرقيَّة لاسيما اذا أمكن تعريف زمن تأليفهما

بقي علينا الأثر الاوّل الذي أخرناهُ لخطرهِ وهو يتضمّن صورة رتبة كنسيّة كان يتّخذها ارباب الطقس اليوناني لتنصيب اساقفتهم . وهـذا الأثر منقول عن كتاب مخطوط بالسريانيّة وُجد في مديات في جبل طور عابدين ويُرقّى عهدهُ الى القرن الثامن او التاسع . وكتابة هـذه الرتبة بالسريانيّة دليل على انّ الكنيسة اليونانيّة كانت تستعمل اللغة السريانية في طقوسها منذ ذلك العهد كما بيّنهُ غبطة السيّد البطريرك في مقدّمتهِ على هذا الأثر الجليل وفيهِ تأييد لما كتبتهُ مرارًا مجلة المشرق في صددهِ وقد اوضحهُ مؤخرًا حضرة الاب كيرلس شارون الرومي الكاثوليكي الملكي بأخذهِ الحجج واسطع البيّنات (اطلب المشرق ١١ : ٩٦٠) . وفي رأس الأثر الجديد الذي نتكلّم عنهُ هذا العنوان : (ܣܝܡܐ ܕܡܛܠ ܣܝܡܐ ܣܝܡܐ) اي " يُقرأ الكتابان اليوناني والسرياني " . ويزيد هذا المجموع حسنًا ملحق يحتوي على ختام مخطوطين سريانيين وجدهما غبطتهُ في ثيبًا عند احد محبّي الآثار الشرقيّة تاريخ اوّلهما سنة ٧٢٣ م والثاني ١٠٥٦ وفي ختام الاوّل ذكر لكنيسة الروم الملكيين في الرها مع اسماء كلّ خدمتها اي مطرانها وكهنتها وشمامستها . وهي فائدة جليلة لمعرفة تاريخ الملكيين في تلك الحاضرة في اوائل القرن الثامن . امّا ختام الكتاب الثاني وهو ايضًا للملكيين فيهِ ترجمة التريودي الى السريانيـة فيشير الى دير على اسم القديس جرجس كان للملكيين في ضواحي انطاكية في محلّها الشهير المسمّى دَفنة والى كنيسة لهم كانت في الجبل الاسود (ܛܘܪܐ) على اسم الشهيد بندليمون

الاب ب . بيترس

دليل بيروت (تقويم الاقبال) اثر السيّد عبد الباسط الانسيّ

طُبع بمطبعة جريدة الاقبال في بيروت للسنة الهجرية ١٣٢٧ (ص ٢٢٤)

كان الاخوان الشقيقان امين افندي الخوري والمرحوم خليل صاحب المكتبة الادبيّة نشرا قبل ٢٠ سنة دليلًا لبيروت تحت اسم الجامعة اودعاهُ معلومات متعدّدة عن بيروت واهلها وامكنتها وصنائعها واشغالها ثم بطل هذا الدليل بعد بضع سنوات . وها قد استأنف العمل جناب السيّد عبد الباسط افندي الانسيّ بل وسّعهُ وضمّنهُ عددًا وافرًا من ضروب الفوائد التي يحتاج اليها البيروتيّون على اختلاف طوائفهم من تاريخ

الشهور والاعياد ونظام الدولة العثمانيَّة واحكامها وولاياتها وخصوصاً ولاية بيروت ودوائرها وشركاتها ومعاهدها الدينيَّة وسككها ومدارسها ومعابدها وتجارها وصناعها الى غير ذلك مما يستغرق جدولهُ عدَّة صفحات. فجاء كتاباً غاية في النفع لا يستغني عنهُ البيروتيُّون والغرباء الذين يتصدون مدينتهم. ولا غرو ان يقع في كتاب مثل هذا بعض الاغلاط واملنا وطيد بانَّ صاحبهُ الاديب يصلحها في السنة القادمة فمن ذلك أنَّ عيد الاربعين (ص ٢٣) جُعل في ٩ آذار يوم الاثنين للطوائف الشرقيَّة وفي ٩ اذار ايضاً يوم الثلثاء (؟) للطوائف الغربية. وكذلك وُضع وقوع عيد البشارة في ٢٥ اذار الاربعاء للطوائف الشرقيَّة وفي ٢٥ آذار ايضاً الخميس (؟) للغربيين وقس عليهما اعياداً اخرى وكل يعرف انَّ بين التاريخ الغربيّ والشرقيّ ١٣ يوماً. ومما لا يتطبق مع الترقي العلميّ في عصرنا الجدول الذي اثبتهُ جناب المؤلف (ص ٥٥) للحروف الابجديَّة وتعبير الرؤيا عليها. وقد فاتهُ من امور الكاثوليك اشياء كثيرة فنسي في جدول اساقفة الروم الكاثوليك رئيس اساقفة حلب. وفي الكنائس كنيستي الآباء اللازريين واليسوعيين. وفي المدارس مدارس اليسوعيين في الزميلة ورأس بيروت ومدارس الاخوة المريميين ومدارس راهبات المحبَّة وراهبات مار يوسف والعائلة المقدَّسة وقلبي يسوع ومريم واعمال خيريَّة عديدة كميتم ومستوصفات. هذه بعض ملحوظات اوردناها اجابةً الى ملتمس صاحب الكتاب في مقدمتهِ ل. ش

كتاب دليل الفردوس

مواعظ انشأها وجمعها الخوري افرام ابيض خادم طائفة السريان الكاثوليك بمصر

الجزء الرابع. طُبع بمطبعة التوفيق في مصر سنة ١٩٠٨ (ص ٤٨٠)

هذا دليل آخر لا يهدي قارئهُ الى معرفة بلد في دار الفناء بل يرشدهُ الى مقام اسمى واشرف في دار البقاء. فرحباً بهِ وسهلاً وقد سبق المشرق (١٠: ١٨٨) وعرَّف الرائد الثقة الذي اوقف نفسهُ لهذا العمل المبرور ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالقاء الارشادات والدلالة على الفردوس شفاهاً بل احبَّ تدوين مواعظهِ لتبقى كدليل حي ثابت لكلّ من يرغب في السير الى فردوس الابرار. وهذا الجزء الرابع من تلك الخطب البليغة التي ألَّفها خطيبنا المصريّ فضمَّنها كثيراً من المواضيع التي يحبّ

الشرقيُّون استماعها لانطباقها على المباحث الجارية على ألسنة اهل العصر فيسمعونها في نوادي الادباء او يقرأونها في الجرائد السيَّارة وربَّما اختلط فيها الغثّ والسمين والاصيل والهجين فلا يعلمون وجه الصواب وفي هذه الخطب ما يزيل ارتيابهم بحججهِ الراهنة وبيناتهِ الواضحة التي ينقلها حيناً عن الاسفار المنزلة وحيناً عن تقليد الآباء الاوَّلين وتارةً يدعمها بتعليم احبار الكنيسة وتارةً يثبتها بتقارير المجامع المسكونية . وفي كل حال يؤيد هذه البراهين بالادلَّة العقليَّة او يبيّن على الاقلّ في شرحهِ للاسرار الالهيَّة التي تفوق طور الادراك ان العقل لا يمكنهُ إنقاضها بعد ثبوت الوحي بها ومن ثم يردّ اعتراضات الناكرين احدثتها في بلادنا . فنشكر اذن حضرة المؤلف على هذا الاثر الجديد ونتمنَّى ان يستدلّ كثيرون بتأليفهِ على طريق الفردوس ل . ش

رحلة الحبشة

تأليف صادق باشا المؤيد العظم . وتعريب رفيق بك العظم وحقّي بك العظم
طُبع بمطبعة المجريدة في مصر سنة ١٣٢٦ – ١٩٠٨ (ص و + ٢٢٥)

هذه رحلة حديثة باشرها في ربيع السنة المنصرمة صاحب الدولة صادق باشا المؤيد العظم فريق اوَّل بالجيش العثماني امتثالاً لامر جلالة السلطان عبد الحميد ليوصل كتابهُ الهمايونيّ الى جلالة منليك الثاني نجاشي الحبشة . فرأى جناب المندوب في هذه الرحلة فرصة مناسبة لتدوين اخبار سفرتهِ فكتب يوماً بعد يوم ما جرى لهُ فيها ووضع بالتركية سفراً واسعاً نفيساً اسرع الى تعريبهِ اديبان من اسرتهِ الكريمة . ولم يجترئ جناب الرحَّالة بوصف سفرهِ وما لحظهُ في طريقهِ لكنَّهُ وسَّع نطاق عملهِ فضمَّنهُ كلّ ما تلذّ القارئ معرفتهُ من احوال الحبشة كجغرافية البلاد وتاريخها ولغتها وآدابها وشرائعها وافاض في وصف النجاشي واسرتهِ وحاشيتهِ وعاصمتهِ اديس آبابا . ولولا انَّ مكاتبنا الاديب الصيدليّ القانونيّ عبدالله افندي ميشال وعد سبق الى نشر فصول عديدة عن الحبشة في المشرق لنقلنا من الكتاب بعض مروياتهِ التي تنطبق تماماً مع ما اخبر بهِ جناب المكاتب . وفي آخر الكتاب ترجمة بعض مشاهير الاحباش اوَّلهم « لقمان الحبشي » وكان الاولى ضرب الصفح عن مثل هذا الرجل الذي لا يُعرف من اخباره شيء مقرَّر . وهذا التأليف على وجه الاجمال حقيقٌ بان تزدان بهِ مكاتب الخاصَّة فنحضّ الادباء على اقتنائهِ ل . ش

شذرات

منارة الدين — اقترح احد الاصحاب على الشيخ احمد افندي تقي الدين المحامي القانوني مقالةً في الدين يختمها بتهنئة قداسة البابا يوس العاشر بيو بيله الكهنوتي فقال جنابهُ :

الدين ما جعل السلام شعارا ... وأقال فينا كبوةً وعثارا
وأزاح عن وجه الحقيقة برقعاً ... واقام في وجه الضلال ستارا
تتباين الآراء في ترعاته ... والكلُّ يعبد واحداً قهّارا (١
رفعوا لهُ فوق الثراء معابداً ... والى الثريا قبةً ومزارا
ومن البريّة مَن تخازر طَرْفهُ ... فرأى الحياة حرارةً وبُخارا
فأعوذ مما يزعمون وليتهم ... نهجوا الصواب وجانبوا الأوزارا
فالله حقٌّ والشريعةُ نورهُ ... ومن استنار يُبلِّغ الاوطارا
والدين في هذا الوجود منارة ... وَسط الدجنّةِ توسل الانوارا

بحر العالم

والكونُ بحرٌ والخليقة رُحلٌ ... ركبوا الحوادث وابتغوا اسفارا
يتساجلون ولا يقرُّ قرارهم ... أرايت للبحر المحيط قرارا
يتشوّفون الى الثغور وفيهم ... حَسَرٌ بنى دون الثغور جدارا
يَردون انجار الوجود وحسبُهم ... بأباجه لا ينقعون أُوارا
فالمدُّ آمال توتّر قوسنا ... والجَزْر يأس يقطع الاوتارا

سفينة الحياة

انَّ الحياة سفينةٌ مخرتْ بنا ... نحو المنى وأقلّت الاعمارا
تنساب في صدر العُباب كأنها ... بين الخمائل يفشد الاوكارا
تقتادها الاهواء وهي عواصف ... وتديرها الالبابُ وهي سكارى
فمن الهوى ما لا يردُّ جماحها ... ومن الحجى ما يدفع التيّارا
فالعُرْبُ قد ركبوا المطيَّ الى الهدى ... والعُجم قادوا مركباً وقطارا

(١) الترهات المذاهب فبعضها صحيح وبعضها باطل كما لا يخفى وان كان الاله واحداً (المشرق)

لبسوا الدجى فالبعض آنس جمرةً فمشى اليها طائعاً مختارا
والبعض خاض اليمَّ يطلب نجمةً يلقى بها نوراً فصادف قارا
والبعض تاهَ عن الصراط وقد غوى وكذاك يشردُ من يخوض بحارا
فالخيرُ ينشد للنفوس سعادةً والشرُّ يسدل دونها استارا
والنفس كالمرآة تحسُن إن صفت او كُدِّرت فجمالها يتوارى

ثغر الحياة

يا وارداً ثغر الحياة وثغرها ساقٍ يُدير على الانام بوارا
هل في الكؤوس ثمالةٌ تروي الظما فتسوغها وتغالب الاقدارا
هيهات وصلٌ والسعادة ظبيةٌ ان زدتها قرباً تزدك نفارا
لكن بصدري جنةٌ وجهنم أوَ لم ترَ النيران والانهارا
فاذا صدقتُ ارى بنفسي جنةً واذا كذبتُ ارى بنفسي نارا
والدين ما زرع الضمير وجاده غيثُ الصواب فأنبت الابرارا

التهنئة والتخلص

والقائمون بامره عُصَب التقى الطائرون الى السعادة دارا
اللابسون على المسيح حدادهم اللابسون من السلام دثارا
ورئيسهم في صدر رومة خادرٌ كالليث يحمل للصلاح منارا
يرعى خراف مسيحه بعصا الهدى ويبارك الابرار والاطهارا
ويمدهم بكماله فكأنهُ شمسٌ تمدُّ بنورها الاقمارا
فاهنأ يوبيل توشح تاجه ذهباً وفاخر ان رضيتَ فخارا
نثرتْ بلمَّتك الليالي فضةً ونظمتَ في جيد الزمان نضارا
فاجعل شعارك رحمةً ومودةً فالدين ما جعل السلام شعارا

امبراطور المانية واليسوعيون قد منح آخراً الامبراطور غليوم الثاني وسام النسر الاحمر لاحد الآباء اليسوعيين وهو الاب فردريك مولّر شكراً له على الخدم الروحية والادبية التي يؤديها للالمان في انقرس منذ ثلاثين سنة

البطريركية القسطنطينية نقل عن مجلة الكلمة ١٩٠٩ ص٣٢ هذا الفصل المفيد بحرفهِ قالت: «اذا تمَّ استقلال بلغاريا واتحاد البوسنه والهرسك بالنمسا واتحاد جزيرة كريت باليونان خسرت البطريركية القسطنطينية ثماني عشرة ابرشية. وذلك اولاً

لان في بلغاريا خمس ابرشيات يونانية تابعة للبطريركية القسطنطينية . وهذه الابرشيات وان تكن أقفلت موقتاً بسبب ثورة البلغار ضد اليونان في بلغاريا سنة ١٩٠٦ الّا ان اليونان لم يقطعوا الامل من اعادتها بتحسين العلائق بينهم وبين حكومة الامارة البلغارية . اما الان وقد اعلنت بلغاريا نفسها مملكة مستقلة كمملكة اليونان فالبلغار لا يسمحون بفتح ابرشيات يونانية في مملكتهم كما ان اليونان لا يسمحون بفتح ابرشيات بلغارية في مملكتهم . ثانياً في مقاطعتي البوسنه والهرسك توجد اربع ابرشيات ارثوذكسية كبيرة جداً تابعة للبطريركية القسطنطينية بالاسم فقط لان البطريركية كانت مجبورة منذ احتلال النمسا هاتين المقاطعتين على اثر الحرب الروسية التركية ان تثبت المطارنة الذين تنتخبهم حكومة النمسا وهذه تنقد البطريركية القسطنطينية مبالغاً معلوماً من المال مقابل ذلك التثبيت . اما الآن وقد ألحقت النمسا هاتين المقاطعتين بأملاكها فاما انها تُلحق تلك الابرشيات الاربع الارثوذكسية باحدى الكنائس الثلاث الارثوذكسية المستقلة الموجودة في مملكتها واما انها وهو الاغلب تجعلها كنيسة رابعة ارثوذكسية مستقلة عملاً بمبدإها السياسي « قسّم تملك » ! وكيفما فعلت الحكومة النمساوية فان البطريركية القسطنطينية ستفقد هذه الابرشيات الاربع العظيمة لا محالة . وثالثاً توجد في جزيرة كريت تسع ابرشيات كانت تابعة البطريركية القسطنطينية بالاسم ايضاً لانها منذ ما صارت كريت شبه امارة في سنة ١٩٠٠ قد تألف من اساقفتها التسعة مجمع يرأسه احدهم باسم ميتروبوليت هيراكليه تحت سيطرة البطريركية القسطنطينية . اما الان وقد اعلنت كريت اتحادها بالمملكة اليونانية فان ابرشياتها التسع هذه ستخرج نهائياً من تحت سيطرة البطريركية القسطنطينية وتصير تحت سلطة المجمع المقدس في اثينا عاصمة اليونان وذلك بالتمام كما جرى بابرشيات الجزر الايونية على اثر اتحادها بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٦٦ وبابرشيات مقاطعتي ايبيروس وتساليا عقيب الحاقهما بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٨١ — . اما عدد الارثوذكسيين الموجودين في هذه الابرشيات الثماني عشرة التي ستخسرها البطريركية القسطنطينية فيناف على مليون نفس منهم نحو سبعين الفاً في بلغاريا ونحو ثماني مئة الف في البوسنه والهرسك ونحو مئتي الف في كريت » . (قلنا) ومن هذا ترى ما آلت اليه تلك البطريركية التي كانت تتعنت نفسها بالمسكونية بعد انفصالها عن رومة !!

أسئلة وأجوبة

س سألنا من دير الاحمر حضرة المنوري بطرس قزح عن تعليل حركة السيَّارات التي ترى سائرةً من المشرق الى المغرب ثم يراها الناظر عائدة في سيرها من الغرب الى الشرق

حركة السيَّارات

ج معلوم انَّ السيَّارات اجرام تستمدُّ نورها من الشمس وتدور حولها في مدَّات مختلفة على حسب تفاوت عِظَمها و بعدها عن الشمس. ومنها سيَّارات سُفْلى تدور بين الارض والشمس ومنها عليا تدور حول الشمس والارض. امَّا حركتها فعلى نوعين حركة واقعية صحيحة وحركة ظاهرة للعين فالحركة الواقعية هي الحركة الدائرية او بالاحرى الاهليلجيَّة التي لا تختلف كثيرًا عن الدوائر. ولو كان الناظر الى السيَّارات واقفًا في مركز الشمس لرآها كلَّها تدور حولهُ كما نرى نحن قمرنا وهذه الحركة الحقيقية تكون من غرب الشمس الى شرقها. اما الحركة الظاهرية فهي التي يلحظها الناظر من الارض فانهُ يرى السيَّارات تارةً شرقيَّ الشمس حتى اذا بلغت زوايا معلومة تثبت مدَّة في امكنتها ثم تعود الي غربي الشمس وهلم جرًّا. واما سبب ذلك فلوقوع ارضنا بالنسبة اليها والى الشمس ولاختلاف مدَّات حركاتها. فاعتبر مثلًا في الشكل الاوَّل الشمس في ش وفلك الارض ض ض١ فان افترضنا الارض ساكنة في ض والسيَّارة ا جاريةً الى ا١ بحركتها الصحيحة فانَّ الناظر اليها في ض يرى صورتها عند بلوغها الى ا١ مرسومةً في السماء في ك ثم تجري السيارة من ا١ الى ا٢ ثم الى ا٣ فالناظر اذا بلغت ا٣ يراها في سطح السماء عند ك١ فيتوهَّم انَّها عادت على اعقابها فسارت سيرًا متقهقرًا. ثم تعود السيارة فتسير من ا٣ الى ا ثم ا٤ حتى ا١ فيراها في ك ويحسب انَّها سارت سيرها سريًا من ك١ الى ك وهلمَّ جرًّا. وفي الشكل الثاني ترى على خلاف ذلك الارض بين الشمس ش والسيارة ا فلنعتبر الارض جاريةً ولنفترض السيارة ساكنة فان سارت الارض من ض الى ض١ رأى الناظر السيارة ا صورتها في ب١ واذا دارت الارض الى ض٢ ثم الى ض٣ رأى صورتها في ب٢ كذلك وجعت التهقري

الاب مياسون

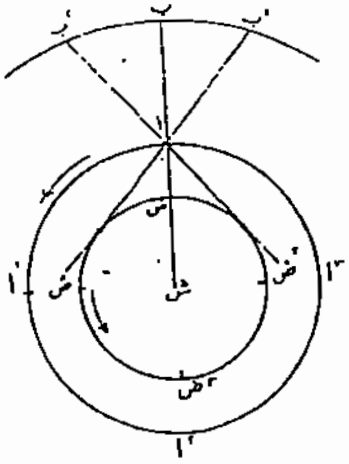

الشكل الثاني

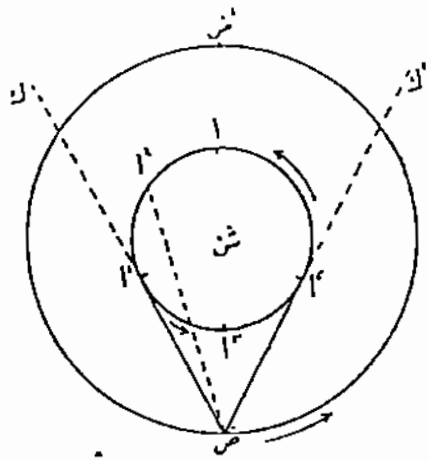

الشكل الاوَّل